الاتجاهات الحشوية في الفكر الإسلامي

عرض ونقد

د. أحمد فوشتي عبد الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة:

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه، ومن اتبع هداه، وبعد؛

فكثيرًا ما استوقفني - وربما استوقف آخرين غيري - مصطلح، أو لقب لفرقة يتردد كثيرًا في كتب علم الكلام، ومصنفات الفرق المختلفة، ويشوبه قدر غير قليل من الإشكال والغموض، ألا وهو مصطلح الحشوية.

ومبعث الإشكال في هذا اللقب أن العادة قد جرت فيما يتعلق بالفرق المختلفة التي ظهرت عبر تاريخ المسلمين الطويل أن يكون لها رأس أو شخصية مؤسسة، قامت بعبء إنشاء هذا المذهب وصياغة أفكاره، ووضع أسسه العامة والدعوة إليها، إما بالتصنيف والكتابة، وإما بالمشافهة والمناظرة، ومحاولة اجتذاب الأنصار والأتباع.

وفي مراحل لاحقة تظهر شخصيات أخرى مخلصة لهذا المذهب، لا تفتأ تصنف الكتب المؤيدة له، وقد تطور بعض أفكاره، وربما غيرت شطرًا كبيرًا منها، وإن ظلت محتفظة بالأصول الرئيسة للمذهب، والقواسم المشتركة بين سائر معتنقيه الأوائل والأواخر، ووفقًا لهذا التصور نجد أن اسم الفرقة يصدق على مجموع ما ذكرناه من الشخصية المؤسسة، والأتباع المخلصين، والمصنفات المختلفة، ومجموعة الأصول

المنهجية والآراء التفصيلية التي تميز تلك الفرقة عن غيرها من الفرق الأخرى.

لكن هذه الأمور التي ذكرناها لا تكاد تنطبق على الحشوية بحال، فليس هناك – فيما وقفت عليه من مصادر – شخصية أو مؤسس يمكن القطع بأنه أول من ابتكر آراء هذا المذهب الحشوي، وليس هناك اتفاق على معنى الاسم نفسه، ولا على ضبطه لغة، أو تحديد معناه اصطلاحًا، بل الأمر كما قال ابن الوزير اليمني: "فأكثر عامة المسلمين لا يدرون من الحشوية"(١)، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: "فأما لفظ الحشوية فليس فيه ما يدل على شخص معين، ولا مقالة معينة، فلا يدري من هم هؤلاء"(٢).

ويضاف لما سبق أننا لا نكاد نقف على أشخاص أو طوائف بعينهم اتفقت الكلمة على إدراجهم في عداد الحشوية الخلص، ولهم تراث مكتوب ينصرون فيه مذهبهم الحشوي هذا، ويدافعون عن آرائه، ويردون على شبهات الخصوم، كما لا نجد مصنفات بعينها نستطيع أن نقول باطمئنان إنها أفردت لعرض آراء الحشوية، ويمكن لكل باحث عن أفكار تلك الفرقة أن يرجع إليها.

ويزيد الأمر إشكالاً أن مصطلح الحشوية قد برز في سياق ما يمكن تسميته بحرب الألقاب والمصطلحات، حيث تصك ألقاب ذم وتشويه للخصوم عبر مصطلح معين، له دلالات معجمية ولغوية سيئة، كما أن ظلال معناه والأطياف المحملة بداخله تبعث على النفور والاشمئزاز.

ومن الواضح أن الأمور السابقة كلها قد تحققت في هذا المصطلح، إذ إن الحشو لا يخرج في إطلاقاته المختلفة عن معاني اللغو والفضول، والحشوي شخص ضعيف العقل، ومحدود التفكير والإدراك، وبعيد تمامًا عن المقصود والمهم، ومنشغل بما لا طائل من ورائه، مما يعني أنه ضعيف العلم، وبعيد تمامًا عن التحقيق والرسوخ في الفهم.

---

(١) ابن الوزير: الروض الباسم ٢/٢٥٤ .

(٢) ابن تيمية: منهاج السنة النبوية منهاج السنة ٢/٥١٨ .

ومصداقًا لذلك نجد أن المعتزلة يصفون مخالفيهم حتى لو كان من الصحابة أو التابعين بأنهم حشوية، وتكرر الأمر نفسه لدى كل من الشيعة ونفر من الأشاعرة، كما لم يخل العصر الحديث من بروز تلك الظاهرة أيضًا، حيث أسرف البعض في وصف خصومهم من مثبتة الصفات الواردة في النصوص الشرعية بالحشو، بل تطور الأمر حتى صارت تهمة الحشو جاهزة لكل مخالف، أو متبن لرأي معارض في أي مسألة علمية.

وهكذا استعمل الحشو لقبًا للذم، ووسيلة للتنقص والثلب، و لم يهتم الكثيرون – حتى ممن استخدموه – بتقديم إجابات واضحة عما يثار حول هذا المصطلح من أسئلة متعلقة بمفهومه ونشأته، وعلى من يلق، وما أبرز الآراء المعبرة عنه.

لكن هل يفهم من طرحنا التساؤلات السابقة – وما انطوت عليه من إشكالات عديدة – أننا نريد القول بأنه لا وجود مطلقًا لظاهرة الحشو والحشوية، وأن كل ما ورد في كتب الفرق والمقالات بشأنها لا يعدو أن يكون اتهامات ظالمة ليس عليها مستند أو برهان؟

وإجابة على ذلك نقول إنه ليس بوسع مطالع لتاريخ الفرق، ومقالاتها المختلفة أن ينكر وجود نزعة أو تيار حشوي ظهر عبر تاريخ الفكر الإسلامي الطويل، وكان له عدد من الآراء المتهافتة، والمخالفة تمامًا للنقل الصحيح والعقل الصريح، من قبيل إهمال النظر وتعطيل عمل العقل بالكلية، والإسراف في القول بالتجسيم والتشبيه، والتصديق بكل ما يروى من الأخبار، دون تمييز بين الثابت والمكذوب، وتبني أقوال مستشنعة لا يشهد لها نقل أو عقل.

وليس غرضنا من هذا البحث الذي نحن بصدده النفي التام لوجود الحشو والحشوية، وإنما مقصدنا الأساسي هو محاولة دراسة هذه الظاهرة دراسة علمية منصفة وموضوعية، تتحرى العدل، وتتحلى بالإنصاف، وتتوخى الدقة في حكاية الآراء

ونسبتها لأصحابها، بعيدًا عن اتهامات الخصوم المتبادلة، وإطلاق أوصاف الـذم دون تدقيق أو تحقيق.

ولعل من أهم الدوافع التي تبرز أهمية مثل هذه الدراسة أن الناظر لمسيرة الفكر الإسلامي عبر القرون المتلاحقة يمكنه أن يدرك الكم الهائل من النتائج والآثار السيئة المترتبة على ظاهرة الحشو، والتي أألقت بظلالها الكئيبة على مجمل مسيرة هذا الفكر، كما مثلت ثغرة خطير تسلل منها الحاقدون على هذا الدين، والواقفون له بالمرصاد، باحثين عن موضع إشكال أو اشتباه ينفذون من خلاله لبث الأراجيف، أو التشكيك في الأصول والثوابت.

وربما كان من أبرز تلك الآثار استغلال بعض أعداء الإسلام لروايات موضوعة، وأحاديث متهافتة السند والمتن للطعن في العقيدة والدين والوحي، وربما ساعدهم على ذلك ذكر بعض أهل العلم لطرف من تلك الروايات، كما في قصة الغرانيق التي سوف نشير إليها في موضع لاحق إن شاء الله.

ومن الآثار الأخرى اتخاذ بعض الشانئين على الإسلام من آراء الحشوية المسرفة في الخرافة ومجافاة العقل تكأة للطعن في الإسلام وحضارته، وإظهاره بمظهر المعادي للعقل، رغم أن كل واقف على نصوص القرآن والسنة يدرك بجلاء ما فيهما من دعوة مستمرة للنظر والتفكر والتعقل، وإعلاء من شأن العلم، وتعويل كامل على الحجة والبرهان، ومحاربة شديدة للتقليد وإتباع الهوى، والأوهام والخرافات، وقد أثمرت تلك التوجيهات في بروز علوم سامقة وقواعد منهجية فذة، قام بها المحدثون والمؤرخون لنقد المرويات وسبرها، وتمييز ما صح وما لم يصح منها، كما جعلت من الاعتداد بالعقل وأدلته طابعًا عامًا، وحقيقة متفقًا عليها بين مدارس الفكر الإسلامي جميعًا سوى اتجاهات شاذة لا يلتفت إليها، ولا يعتد بخلافها.

وفي ضوء ما سبق كله تبرز الحاجة إلى دراسة موضوعية ومنصفة تتناول الحشو

والحشوية كمصطلح أو اتجاه فكري ظهر قديمًا، وما زال موجودًا بصورة أو بأخرى حتى يومنا هذا.

وقد حاولنا في هذا البحث أن نجيب عن عدد من الأسئلة المهمة التي تكشف اللثام عن طائفة الحشوية، من خلال تناولنا لعدد من المسائل والقضايا التي رأينا ضرورة التعرض لها ونحن ندرس هذا المصطلح، وقد جاء ذلك في مقدمة وأربعة مباحث وخاتمة وقائمة بأهم المراجع، بدأنا أولاً بوقفة متعمقة عند التعريف اللغوي والاصطلاحي، ثم انتقلنا للبحث عن مبدأ نشأة هذا المصطلح، والعوامل التي أسهمت في ظهور الحشو والحشوية، وأخيرًا حاولنا أن نحدد أبرز سمات الموقف الحشوي، وأهم الآراء التي تبنتها الحشوية، وهل كان الحشو مقصورًا على فرقة بعينها؟ أم أنه مثل تيارًا فكريًا عامًا، ظهرت تجلياته لدى العديد من الفرق والاتجاهات المختلفة في القديم والحديث على حد سواء؟

* * *

المبحث الأول

تعريف الحشوية لغة واصطلاحًا

أولاً: التعريف اللغوي:

الحشوية نسبة إلى الحشو أو الحشا[1]، وقد ذكرت المعاجم اللغوية عددًا من المعاني المختلفة للألفاظ التي اشتقت من هذه المادة، ومن ذلك أن الحشو هو ما يحشى به الشيء، وما تملأ به الوسادة، ويقال أيضًا فلان من حِشْوة بني فلانٍ، أي من رُذالهم، والحَشِيُّ من النبت: ما فَسَدَ أصله وعفن، والحشو من الكلام: الفضل، وما لا يعتد به

(١) المعجم الوسيط ١/١٧٧ .

ولا خير فيه، والحَشْوُ من النّاس الذين لا يُعتدُّ بهم[١].

وليس من العسير على المتأمل للمعاني اللغوية السابقة أن يستخلص منها قاسمًا مشتركًا بين أكثر معانيها، وهو أن الحشو في معظم إطلاقاته إنما يراد به الأشياء غير الضرورية أو قليلة القيمة، وما لا يعبأ به في ميزان الناس واهتماماتهم، ومن ذلك إطلاقه على اللغو من الكلام والتافه من الأشخاص، والصغير من الإبل، والفاسد من النبات، وكلها أمور هامشية لا تطمح إليها الأبصار.

ثانيًا: التعريف الاصطلاحي:

وعلى الرغم من أن مصطلح الحشوية قد استعمل بكثرة في المصنفات الكلامية المختلفة على سبيل الذم، والتنقيص للمخالفين، وتنفير الناس منهم، إلا أننا نجد حالة واضحة من الاضطراب والاختلاف الشديد في بيان المراد منه، وسبب إطلاقه، وأصل تسميته، ومن المقصود به تحديدًا من الفرق والطوائف المتعددة.

وثمة تعريفات عامة جدًا لا تقدم شيئًا محددًا أو معرفة ذات بال بتلك الفرقة أو آرائها ومنهجها وإعلامها المعبرين عن فكرها، ومن ذلك قول الزبيدي: "الحشوية طائفة من المبتدعة"[٢]، هكذا على سبيل العموم دون أن يذكر شيئًا عن أقواله، ومثله قول الزمخشري: "النوابت وهم الحشوية"[٣] دون أن يحدد بوضوح من هم النوابت، ومن هم الحشوية.

أما التعريفات الأخرى التي تنحو منحى أكثر تفصيلاً في بيان معنى التسمية وسبب إطلاقها ومن المقصود بالحشوية، فهناك اختلاف واضح بينها، وتداخل في المفاهيم، وتعدد في الأقوال حتى فيما يخص الشخص الواحد، وأبرز ما وقفنا عليه من آراء في

---

(١) انظر الخليل بن أحمد: العين ٢٦١/٣، وابن فارس: معجم مقاييس اللغة ٦٤/٢، والفيروزآبادي: القاموس المحيط ٣١١/٤، والفيومي: المصباح المنير ١٣٨/١، والرازي: مختار الصحاح ص١٦٧، وابن منظور: لسان العرب ١٧٨/١٤، والزبيدي: تاج العروس ٤٣٠/٣٧، والمعجم الوسيط ١٧٧/١ .

(٢) الزبيدي: تاج العروس ٤٣٤/٣٧ .

(٣) الزمخشري: أساس البلاغة ٦١٣/١ .

هذا الصدد يتمثل فيما يلي:

أولاً: يراد بالحشوية العامة الذين هم حشو الناس، وفضلتهم، وجهالهم[1]، ورذالتهم، وهم غير الأعيان والمتميزين، وقد وسم الشيعة بذلك كل من لم يقل بإمامة علي ﷺ بعد النبي ﷺ، واصفين إياهم بأنهم السواد الأعظم، وأهل الحشو وأتباع الملوك وأعوان كل من غلب[2].

ثانيًا: يراد بالحشوية: رواة الأحاديث من غير تمييز لصحيحها من سقيمها، وقد ذهب لهذا الرأي عدد من المتقدمين والمتأخرين، وإن كان هناك اختلاف في بيان وجه تسميتهم حشوية، فهناك من قال إنهم سموا حشوية؛ لأنهم يحشون الأحاديث التي لا أصل لها في الأحاديث المروية عن رسول الله ﷺ؛ أي يدخلونها فيها وليست منها[3]، وهناك من قال إنهم سموا حشوية لكثرة قبولهم الأخبار من غير إنكار[4]، أو لكثرة ولعهم بالأخبار وكلام السلف الصالح[5]، أو لأنهم حشوا الحديث بإسرائيليات[6]، ويبدو أن هذا القول قد شاع نوعًا ما مما دفع جماعة من المحدثين إلى إنكار ذلك، وتبرئة أهل الحديث، والرد على من اتهمهم بأنهم يروون ما لا يعقلون، ويحتجون بما لا يدرون، ويصححون ما يدفعه العيان والحس[7].

ثالثًا: يراد بالحشوية المجسمة، وقد عرفهم بذلك عدد غير قليل من المتقدمين[8]،

---

(١) انظر ابن عيسى: شرح نونية ابن القيم ٢/٧٧ .

(٢) انظر النوبختي: فرق الشيعة، ص١٩ .

(٣) انظر نشوان الحميري: الحور العين ١/٦٠، وابن الوزير: الروض الباسم ٢/٢٥٥ .

(٤) انظر ابن الوزير: الروض الباسم ٢/٢٥٥ .

(٥) انظر عباس بن منصور السكسكي: البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان، ص٩٥ .

(٦) انظر د. النشار: نشأة الفكر الفلسفي ١/٢٥٠ .

(٧) انظر ابن حبان: صحيح ابن حبان ١٤/٣٥، ١٥/٤٧ .

(٨) انظر السكسكي: البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان، ص٣٨، والسيوطي: لب اللباب في تحرير الأنساب ٢/٣٥٨، والمرداوي: التحبير شرح التحرير ٣/١٤٠٣ .

والمتأخرين[١]، وثمة اختلاف بين أصحاب هذا القول في سبب تسمية المجسمة بالحشوية، فبعضهم يرى أنهم سموا بذلك؛ لأن الجسم حشو أو محشو، وهم قائلون بالتجسيم فنسبوا إليه[٢]، ويرى آخرون أنهم سموا بذلك لأنهم جعلوا ربهم حشو هذا الكون حينما نسبوا له صفات الأجسام ومنها المكانية[٣]، ومن الكتاب المعاصرين من ذهب إلى أن تسميتهم بالحشوية راجعة إلى أنهم يعمدون إلى حشو فكرة الذات الإلهية بكثير من الصفات خلافًا للمعتزلة الذين ينفون الصفات[٤].

رابعًا: المقصود بالحشوية قوم من ضعاف العقول وعديمي النظر والتمييز، ممن أنكروا الاجتهاد، وعكفوا على التقليد وإتباع المنقول، دون فحص أو إعمال رأي، وقد تتابع على وصفهم بذلك نفر من الفلاسفة والمعتزلة وغيرهم، مثل ابن سينا[٥]، والزمخشري[٦]، والصاحب بن عباد[٧].

خامسًا: الحشوية هم القائلون بجواز أن يخاطبنا الله بالمهمل أو ما لا معنى له، وأن ذلك موجود في الكتاب والسنة[٨]، والذي لا معنى له هو الحشو، ولذا سموا بالحشوية[٩]، وقد نقل التهانوي تعليلاً آخر غريبًا وهو أنهم يطلقون "الحشو على الدين، فإن الدين يتلقى من الكتاب والسنة وهما حشو، أي واسطة بين الله ورسوله

---

(١) منصور عويس: ابن تيمية ليس سلفيًا، ص٢٤٧ .

(٢) انظر التهانوي: كشاف اصطلاحات الفنون ٦٧٨/١ ، والكوثري: مقدمة السيف الصقيل ضمن العقيدة وعلم الكلام من أعمال الكوثري، ص٤٢٤، ومنصور عويس: ابن تيمية ليس سلفيًا، ص٢٤٧ .

(٣) انظر ابن عيسى: شرح النونية ٧٧/٢ .

(٤) انظر: د. أبو الوفا التفتازاني: علم الكلام وبعض مشكلاته، ص١٠٩ .

(٥) ابن سينا: المنطق ٣٣١/٢ .

(٦) الزمخشري: الكشاف ٣٣١/٢ .

(٧) الصاحب بن عباد: المحيط في اللغة ٤٤٦/٩ .

(٨) انظر المرداوي: التحبير شرح التحرير في أصول الفقه ١٤٠٣/٣، والسيوطي: لب اللباب في تحرير الأنساب ٣٥٨/٢، والتهانوي: كشاف اصطلاحات الفنون ٦٧٩/١ .

(٩) السيوطي: لب اللباب في تحرير الأنساب ٣٥٨/٢.

وبين الناس"[1].

ومن الكتاب المعاصرين من قال أنهم منسوبون إلى الحشو "وهو اللغو الذي لا اعتبار له فضلاً عن أن يكون منسوبًا إلى الله ورسوله"[2].

سادسًا: الحشوية هو اللقب الذي أطلقه الحسن البصري على جماعة كانوا يجلسون في حلقته فوجد كلامهم رديئًا، فقال ردوا هؤلاء إلى حشا الحلقة أي جانبها، فسموا الحشوية من أجل ذلك[3].

تعقيب:

وبعد أن سقنا جل ما استطعنا الوقوف عليه من أقوال أهل العلم حول مفهوم الحشوية وسبب التسمية، يبقى لنا محاولة النظر في تلك الأقوال نظرة نقدية، والخروج برأي راجح حول المفهوم الدقيق لمصطلح الحشوية.

ولعل أول ما تجدر الإشارة إليه أنه ينبغي ألا يغيب عن بالنا أن الفرقة أو الطائفة إنما تتشكل في الغالب من خلال ظهور شخصية أو جماعة تتبنى عددًا من الآراء أو الأفكار ويكون لها منهج ما تنصره وتنافح عنه، وتسعى لدعمه بالتأليف أو المناظرة، وأما الاسم أو اللقب الذي يطلق على هذه الفرق فله حالات شتى.

فأحيانًا تسمى الطائفة نفسها بلقب أو اسم ترتضيه وينبع من آرائها، أو أبرز الثوابت التي تجتمع حولها، مثلما هو الحال في اسم أهل السنة والجماعة، أو اسم أهل التوحيد والعدل الذي سمي به المعتزلة أنفسهم، وفي بعض الأحيان تنشأ التسمية من قبل أناس من خارج الفرقة نسبة لمؤسسها أو نسبة لأصل مذهبي تمحورت حوله، مثل تسمية: الأشاعرة والزيدية والباطنية والجهمية والكلابية، وفي أحيان أخرى تكون

(١) التهانوي: كشاف اصطلاحات الفنون ٦٧٩/١ .

(٢) سلامة العزامي: فرقان القرآن بين صفات الخالق وصفات الإنسان، ص١٦ .

(٣) انظر المرداوي: التحبير شرح التحرير في أصول الفقه ١٤٠٣/٣ .

التسمية لقبًا للذم يطلقه خصومها – إما بحق وإما بباطل – ثم تشيع تلك التسمية فيما بعد، مثل تسمية: الرافضة والجبرية والخوارج وغيرهم.

وإذا طبقنا القواعد السابقة على الحشوية فليس بوسعنا أن نقول إن هناك شخصية بعينها يمكن نسبة المذهب إليها، نظرًا لابتداعها القول بالحشو وتأسيس الدعوة إليه لأول مرة، ثم جاء على أثرها أتباع ومشايعون نصروا مذهبهم بالتأليف والدعوة والمناظرة، وما أشبهها من وسائل وأساليب، وقد نبه ابن تيمية رحمه الله إلى الحقيقة السابقة حيث أشار إلى أن "مسمى الحشوية في لغة الناطقين به ليس اسمًا لطائفة معينة، لها رئيس قال مقالة فاتبعته كالجهمية والكلابية والأشعرية، ولا اسمًا لقول معين من قاله كان كذلك، والطائفة إنما تتميز بذكر قولها أو بذكر رئيسها"(١)، كما تتميز أحيانًا "باسم رجالها أو بنعت أحوالها، فالأول كما يقال النجدات والأزارقة والجهمية والنجارية والضرارية ونحو ذلك، والثاني كما يقال الرافضة والشيعة والقدرية والمرجئة والخوارج ونحو ذلك، فأما لفظ الحشوية فليس فيه ما يدل على شخص معين ولا مقالة معينة فلا يدري من هم هؤلاء"(٢).

والواضح من خلال مطالعة كتب الفرق المختلفة أن التلقيب بالحشوية نشأ في الغالب على ألسنة الخصوم، ثم صار وصفًا شائعًا تطلقه كل فرقة على مخالفيها في الرأي، فالشيعة الإمامية يصفون كل من لم يقل بإمامة علي بن أبي طالب ﷺ بعد الرسول ﷺ مباشرة بأنه حشوي؛ أي: من عامة الناس وسقطهم، والمعتزلة يعتبرون كل من أثبت الصفات، وقال بخلق الله لأفعال العباد بأنه من حشو الناس وعامتهم، ولا يعتد بكلامه في العقيدة؛ لأنه لم يتعمق تعمقهم في التأويل، ولا ذهب مذاهبهم في الإنكار والتعطيل؛ ونفس الحكم ينطبق على كل من آمن بظواهر النصوص وأثبت ما

(١) ابن تيمية: بيان تلبيس الجهمية ٢٦٨/٢ .

(٢) ابن تيمية: منهاج السنة ٥١٨/٢ .

دلت عليه، و لم يشتغل بصرفها، وتأويلها، فهو عندهم حشوي بعيد عن التحقيق، وكذلك الأمر عند طائفة من الأشاعرة والماتريدية ولاسيما المتأخرين؛ فكل من أثبت الصفات الخبرية، و لم يؤولها ويصرفها عن ظاهرها، يعد حشويًا.

وإذا نحينا جانبًا هذا التنابز بالألقاب واللدد في الخصومة فنستطيع أن نقول إن الحشوية "مصطلح عام له معان مختلفة"[1]، وهو عبارة عن اتجاه عام، وتيار فكري موجود داخل الكثير من المذاهب والطوائف المختلفة[2]، ويتسم هذا التيار بعدد من السمات والخصائص يأتي في مقدمتها قبول كل ما يروى من النصوص والأخبار، وتصديقها دون تمحيص كاف لها، أو نقد لمحتواها وطريقة وصولها، كما يتسم برفض العقل وأدلته، والتعويل على ما يظنه أدلة نقلية مع سواء فهم لها، وحملها على ما لا يتوافق مع دلالتها الصحيحة، أو ما يفهم من ألفاظها وفق قواعد تفسير النصوص المعتبرة.

ووفقًا لهذا المفهوم فهناك حشوية داخل الشيعة، وحشوية لدى الحنابلة، وحشوية لدى المفسرين والمحدثين، كما أن الفرق القائلة بالتجسيم والتشبيه مثل الكرامية لها نصيب غير منقوص من الوصف بالحشو.

بل إن من الأمور المستغربة حقًا إننا نجد ما يمكن وصفه بالنزعة الحشوية داخل مذاهب الخوارج، حيث ذكرت كتب الفرق أن من طوائفهم فرقة تسمى الشيبانية، وهم أتباع شيبان بن سلمة الذي شبه الله تعالى بخلقه، وزعم أن الله لم يعلم حتى خلق لنفسه علمًا، وأن الأشياء إنما تصير معلومة له عند حدوثها ووجودها، وفي كلامهم

(١) د. النشار: نشأة الفكر ٢٨٧/١ .

(٢) انظر د. حسن الشافعي: المدخل إلى دراسة علم الكلام، ص٧٥، ٧٦، ود. السنهوتي دراسات نقدية في مذاهب الفرق الكلامية، ص٢٨٠ .

هذا تشبيه لعلم الله بعلم المخلوقين[١]، ولذلك ذكر عبد القاهر البغدادي أن فرقة الثعالبة من الخوارج كفرت فرقة الشيبانية لقولهم بالتشبيه[٢].

كذلك وجدت نزعة حشوية مستشنعة عند فرقة الخابطية التي ينسبها بعض مؤرخي الفرق للمعتزلة – وإن كان المعتزلة يتبرءون منها – لكن ما يعنينا هنا أن الخابطية تبنوا آراء في غاية الانحراف والضلال، منها تشبيه عيسى بن مريم عليه السلام بالله تعالى، والزعم بأن للخلق ربين وخالقين أحدهما قديم وهو الله سبحانه، والآخر مخلوق وهو عيسى بن مريم، كما زعمت أن المسيح ابن الله على معنى النبوة دون الولادة، وزعمت أيضًا أن المسيح هو الذي يحاسب الخلق في الآخرة، وهو الذي عناه الله بقوله: ﴿وَجَاء رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفّاً صَفّاً﴾ (الفجر: ٢٢)، وهو الذي يأتي في ظلل من الغمام، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا[٣].

وخلاصة ما نخرج به من الاستعراض المتقدم لتعريفات الحشوية أن مصطلح الحشو والحشوية – رغم كل ما انتابه من اختلاف واضطراب – يمكن أن يصدق في رأينا على ثلاثة اتجاهات أو تيارات فكرية، تتمثل فيما يلي:

الأول: الاتجاهات القائلة بالتشبيه، والتجسيم، والمماثلة بين صفات الخالق سبحانه، وصفات المخلوقين.

الثاني: الاتجاهات المنحية للعقل بالكلية، والتي تقبل كل ما يشيع أو ينقل من خرافات وأساطير وما يترتب على ذلك من تبنيها لآراء في غاية الغرابة والشذوذ.

الثالث: الاتجاهات التي تروى الموضوعات من الأحاديث والآثار، والإسرائيليات

---

(١) انظر أبو الحسن الأشعري: مقالات الإسلاميين ١/١٨٠، ١٨١، والإسفراييني: التبصير في الدين ص٥٧، وعبد القاهر البغدادي: الفرق بين الفرق ص١٠٢، والشهرستاني: الملل والنحل ١/١٣٢، ود. جابر إدريس: مقالة التشبيه ١/٣١٨، ٣١٩ .

(٢) انظر عبد القاهر البغدادي: الفرق بين الفرق ص١٠٢.

(٣) انظر عبد القاهر البغدادي: الفرق بين الفرق ص٢٦٠، ود. جابر إدريس: مقالة التشبيه ١/٣١٧ .

من القصص والأخبار، ولا تميز بين الصحيح والموضوع، سواء في مجال العقيدة أو الحديث أو التفسير.

* * *

المبحث الثاني
نشأة مصطلح الحشوية

ولا شك أن الباحث عن نشأة المصطلحات، أو ألقاب الفرق والاتجاهات الكلامية عمومًا وأول من أسسها يجد شيئًا من الصعوبة وتضارب الأقوال والروايات أحيانًا، لأن نشأة المصطلح أو لقب الفرقة ظاهرة معقدة بعض الشيء، وربما تبدأ بكلمة أو جملة عابرة يطلقها بعض الأعلام عفو الخاطر ثم يكتب لها الذيوع والانتشار، وبعد ذلك تبدأ مرحلة لاحقة ينشغل فيها أهل العلم في تعليل التسمية والسر في إطلاقها.

وتاريخ الفرق حافل بنماذج عديدة من هذا القبيل فاسم المعتزلة كما هو شائع أخذ من عبارة الحسن البصري "اعتزلنا واصل" واسم الرافضة أطلق على من رفضوا قول زيد بن علي وموقفه من الشيخين أبي بكر وعمر.

وأما أسماء الفرق أو الطوائف التي تنسب لمؤسسيها وتسمى بأسمائهم، فالأمر فيها أيسر من النوع الأول، وإن كان من البديهي أن التسمية لا تنشأ إلا بعد فترة كافية من ذيوع آراء المؤسس وانتشار فكره، وربما حدث ذلك بعد وفاته، كما هو الحال فيما يتعلق بالزيدية والأشاعرة والماتريدية، والكرامية، وغيرهم، وفي بعض الأحيان تنسب طائفة ما إلى اسم علم من أعلامها البارزين، وذلك على سبيل الذم والتنقيص كتسمية السلفيين وأصحاب الحديث بالتيميين أو الوهابيين، مع كراهتهم لتلك التسمية، وإلحاحهم على أن مذهبهم لم ينشأ على يدي هذين العلمين، وإنما هو قديم الجذور، وممتد بحبل وثيق إلى صحابة رسول الله ﷺ، وتابعيهم، وسلف هذه الأمة الصالحين.

وإذا ما جئنا إلى مصطلح الحشوية الذي نحن بصدده فقد تبين لنا مما سبق أنه ليس منسوبًا إلى شخص ما، وإنما هو – على اختلاف وجهات النظر التي سبق لنا عرضها تفصيلاً – منسوب لطبيعة الآراء التي قال بها هؤلاء النفر، ويصدق عليها وصف الحشو بكل ما يحمله من دلالة على الذم والتنقيص، أما تحديد الوقت الذي ظهر فيه مصطلح الحشوية، وأول من استخدمه فقد انقسمت آراء أهل العلم في ذلك إلى اتجاهين، ينسب كل واحد منها نشأة هذا المصطلح إلى شخصية شهيرة.

الاتجاه الأول: أن أول ظهور لهذا المصطلح إنما ورد على لسان الحسن البصري حينما قال لجماعة من الناس كانوا يجلسون في حلقته، وتفوهوا بكلام منكر: ردوا هؤلاء إلى حشا الحلقة – أي جانبها – فسموا بالحشوية، وثمة عدد من الملاحظات على هذه الرواية.

أولها: أنه قد نقلها عن الحسن وعزاها إليه عدد غير قليل من أهل العلم[1]، وإن كنت لم استطع الوقوف على نقل مباشر عنه أو من يرويها بسند متصل.

وثانيها: أن الرواية لم تبين لنا ما سبب إنكار الحسن البصري عليهم، وما طبيعة الكلام المنكر الذي قالوه، وإلى أي الفرق ينتمي هؤلاء القوم، لاسيما إذا علمنا أن الحسن رحمه الله توفي عام عشرة ومائة من الهجرة النبوية، أي في مرحلة تاريخية مبكرة وقبل ظهور الكثير من الفرق.

وثالثها: أن من العجيب حقًا أن تكون كلمتان عابرتان قالهما الحسن البصري سببًا في تسمية طائفتين متناقضتين تمام التناقض في المنهج والآراء، وهما المعتزلة والحشوية، فحينما قال الحسن اعتزلنا واصل ظهر لقب المعتزلة للوجود، وحينما قال ردوا هؤلاء إلى حشا الحلقة برز لقب الحشوية.

---

(١) انظر المرداوي: التحبير شرح التحرير في أصول الفقه ١٤٠٣/٣، وابن النجار: شرح الكوكب المنير المسمى بمختصر التحرير ١٤٧/٢، وحسن العطار: حاشية العطار على جمع الجوامع ٣٠٣/١، وابن عيسى: توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم ٧٧/٢ .

الاتجاه الثاني: أن أول ظهور لهذا المصطلح إنما ورد على لسان المعتزلة، فهم أول من جرى هذا اللفظ على ألسنتهم، وكما يقول ابن تيمية: "هذا اللفظ أول من ابتدعه المعتزلة فإنهم يسمون الجماعة والسواد الأعظم الحشو، كما تسميهم الرافضة الجمهور"[(١)]، ويزيد ابن تيمية الأمر تحديدًا حيث يعد عمرو بن عبيد أحد أئمة المذهب الاعتزالي الأوائل أول من استخدم هذا اللقب، وعمرو ومثله واصل بن عطاء من تلامذة الحسن البصري[(٢)] قبل أن يعتزلا مجلسه، فهل سمع عمرو بن الحسن تلك اللفظة، ثم أطلقها هو بمفهومه الخاص؟ أم أنه أنشأها إنشاء جديدًا؟ الحق أنه يصعب الجزم برأي قاطع في تلك المسألة.

وقد جاء استخدام عمرو بن عبيد للفظة الحشوية من خلال وصفه للصحابي الجليل عبد الله بن عمر، "فإنه ذكر له عن ابن عمر شيء يخالف قوله فقال: كان ابن عمر حشويًا، نسبه إلى الحشو، وهم العامة والجمهور"[(٣)].

ولا أظن أننا بحاجة للإطالة في بيان براءة الصحابي الجليل عبد الله بن عمر من تلك التهمة الشنعاء، ونكتفي فحسب بالإشارة إلى التناقض الاعتزالي في الموقف من ابن عمر ﷺ، إذ بينما عده عمرو بن عبيد حشويًا، فإن القاضي عبد الجبار – وهو أبرز منظري المذهب الاعتزالي في أوج اكتماله – قد اعتبر ابن عمر من المعتزلة، حيث جعل الطبقة الأولى من المعتزلة الخلفاء الأربعة عليًا، وأبا بكر، وعمر، وعثمان، ثم من سائر الصحابة عبد الله بن عمر، وأبا ذر الغفاري، وعبادة بن الصامت، رضوان الله عليهم أجمعين[(٤)].

---

(١) ابن تيمية: مجموع الفتاوى ٣/١٨٥، ١٦، وانظر أيضًا درء التعارض ٧/٣٥١ .

(٢) انظر د. النشار: نشأة الفكر ١/٣٩٩، ود. محمد صالح السيد: عمرو بن عبيد وآراؤه الكلامية، ص٢١ .

(٣) ابن تيمية: بيان تلبيس الجهمية ١/٢٤٤ .

(٤) القاضي عبد الجبار: فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة ص٢١٤، وانظر د. النشار: نشأة الفكر ١/٤١١ .

لكن يبقى ثمن إشكال يحتاج إلى شيء من النظر في مدى صحة صدور اتهام عمرو بن عبيد هذا لابن عمر، وهل ثبت عنه فعلاً، أم أن ذلك من تشنيعات خصوم المعتزلة ومحاولاتهم لتشويه صورة مذهبهم؟

والواقع أنني لم استطع الوقوف على كلام عمرو هذا في كتب المعتزلة، إلا أن نسبة هذا القول إليه قد تكررت أكثر من مرة في كتب ابن تيمية المختلفة[١] مثل درء التعارض[٢]، ومجموع الفتاوى[٣]، ومنهاج السنة النبوية[٤]، وقد عرف ابن تيمية رحمه الله بالدقة الشديدة والأمانة العلمية في نقل أقوام الخصوم[٥]، وأقر له بتلك المزية عدد من أساتذة الفلسفة ومناهج البحث المعاصرين[٦]، ومنهم من يعد في قائمة خصوم الرجل والمنتقدين له بشدة مثل الدكتور النشار[٧].

ولعله مما يزيد الأمر وثوقًا أن ابن تيمية رحمه الله ليس الوحيد المنفرد بذلك، فقد نقل هذا الكلام عن عمرو بن عبيد أحد علماء الجرح والتعديل السابقين لابن تيمية، وهو ابن ماكولا في كتابه الإكمال[٨]، ونسبه لعمرو أيضًا المؤرخ المعروف ابن العماد الحنبلي صاحب شذرات الذهب[٩]، ومن الأساتذة المعاصرين الدكتور النشار في كتابه نشأة الفكر الفلسفي[١٠].

ومن الشواهد الأخرى التي تؤكد صحة القول السابق عن عمرو بن عبيد أن

---

(١) انظر د. ناصر العقل: دراسات في الأهواء والفرق ص٤٩٢، ود. جابر إدريس: مقالة التشبيه ١٩٤/٢، ود. عبد الله بن صالح الغصن: دعاوى المناوئين لشيخ الإسلام ابن تيمية ص١٥٣ .

(٢) انظر ابن تيمية: درء التعارض ٣٥١/٧ .

(٣) انظر ابن تيمية: مجموع الفتاوى ١٨٦/٣ .

(٤) انظر ابن تيمية: منهاج السنة النبوية ٥٢٠/٢ .

(٥) انظر د. عبد الرحمن المحمود: موقف ابن تيمية من الأشاعرة ٣١٨/١ .

(٦) انظر: د. أحمد صبحي: في علم الكلام، الأشاعرة ص٩٥، ٩٦ .

(٧) انظر د. النشار: نشأة الفكر ٢٧٨/١، وانظر أيضًا ٢٧٠/١ .

(٨) ابن ماكولا: الإكمال ٢٦٦/٧ .

(٩) ابن العماد: شذرات الذهب ٢١١/١ .

(١٠) انظر د. النشار: نشأة الفكر الفلسفي ٤١١/١ .

مصطلح الحشوية قد تردد على لسانه في نص نقله القاضي عبد الجبار عن أبي عمرو حفص بن العوام قال: "أتيت عمرو بن عبيد في منزله، فرأيت عنده جماعة وكأن على رءوسهم الطير، وعنده واصل بن عطاء فحفظت من كلام عمرو: هؤلاء الحشوية آفة الدين، وهم الذين صدوا الناس عن القيام بالقسط، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر"(١).

ويبدو من الواضح لمن يطالع تاريخ المذهب الاعتزالي في نشأته الأولى أن الرد على المشبهة ومن يسمون بالحشوية كان من ضمن جوانب اهتمام المذهب الأساسية، والتي حظيت بعناية كبيرة من أعلام المذهب المتلاحقين، وقد أشار الجاحظ إلى أن واصل بن عطاء هو أول من كتب في الردود عمومًا، وفي الرد على الحشوية خصوصًا فقال: "لم يعرف في الإسلام كتاب كتب على أصناف الملحدين، وعلى طبقات الخوارج، وعلى غالية الشيعة والمشايعين في قول الحشوية قبل كتب واصل بن عطاء، وكل أصل نجده في أيدي العلماء في الكلام والأحكام فإنما هو منه"(٢)، كما تكرر استعمال مصطلح الحشوية لدى أئمة المعتزلة المتقدمين منهم، والمتأخرين(٣).

وإذا نحينا جانبًا الخلاف حول أول من أطلق مصطلح الحشوية، فسوف نلاحظ أن هذا المصطلح قدر له أن يشيع وينتشر على لسان جل الطوائف الكلامية وصار – كما ذكرنا من قبل – لقبًا للذم تطلقه كل فرقة على ما خالفها"(٤) بل إن الاتهام بالحشو قد امتد إلى عدد من أئمة المسلمين الذين اتفقت الأئمة على علمهم وجلالتهم وإمامتهم مثل سفيان الثوري ومالك، والشافعي، والبخاري، وغيرهم.

---

(١) القاضي عبد الجبار: فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة ص٢٤٢ .

(٢) العسكري: الأوائل ص١١٦ .

(٣) انظر القاضي عبد الجبار: شرح الأصول الخمسة ٥٢٧، والذهبي: سير أعلام النبلاء ٥٣٠/١١، ود. جابر إدريس: مقالة التشبيه ١٩٦/٢ .

(٤) ابن تيمية: مجموع الفتاوى ١٧٦/١٣ .

فالنوبختي الشيعي يجعل سفيان الثوري، وابن أبي ليلي، ومالك بن أنس، والشافعي من أهل الحشو[١]، والصاحب ابن عباد المعتزلي وسم البخاري بالحشو، وقال كما نقل عنه ذلك عدد من المؤرخين الثقات كالذهبي[٢]، وابن حجر[٣]، ومن البخاري؟! حشوي لا يعول عليه"[٤].

وثمة مصنفات عديدة ألفت للرد على الحشوية، وبيان فساد أقوالهم، ويرجع بعض هذه الكتب إلى فترة متقدمة بعض الشيء، كما أن أصحابها من مدارس كلامية مختلفة فمنهم الكلابي، ومنهم الشيعي، ومنهم الأشعري، وربما كان من أقدم ما ألف في الرد على الحشوية كتاب المتكلم المشهور عبد الله بن محمد بن كلاب المتوفى سنة ٢٤١هـ، وقد صنف ابن كلاب مصنفات عديدة رد فيها على الجهمية والمعتزلة وغيرهم[٥]، والذي يعنينا الآن من كتبه في الرد على المخالفين كتاب يسمى بالرد على الحشوية[٦]، ولا شك أن تأليف كتاب كهذا في تلك الفترة المبكرة – أوائل القرن الثالث الهجري – يدل على شعور البعض باستفحال الخطر الحشوي، وضرورة التصدي له.

ومن المصنفات التي دونت في الرد على الحشوية في القرن الثالث الهجري كتاب لأحد علماء الشيعة الاثنى عشرية وهو: فضل بن شادان النيسابوري المتوفى سنة ٢٦٠هـ، واسم كتابه الرد على الحشوية[٧]، وفي القرون اللاحقة ألفت كتب أخرى في الرد على الحشوية منها كتاب النكت القطعية في الرد على الحشوية للمازري[٨]،

(١) انظر النوبختي: فرق الشيعة ص٧ .
(٢) الذهبي: تاريخ الإسلام ٩٥/٢٧، وسير أعلام النبلاء ٥١٢/١٦ .
(٣) ابن حجر: لسان الميزان ٤١٣/١ .
(٤) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٥١٢/١٦ .
(٥) ابن تيمية: مجموع الفتاوى ٣٦٦/١٢، ٣٦٧ .
(٦) إسماعيل البغدادي: هدية العارفين ٢٢٩/١ .
(٧) إسماعيل البغدادي: هدية العارفين ٤٣٢/١ .
(٨) المقري: أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض ٢٩١/١ .

وكتاب تنزيه الإله وكشف فضائح المشبهة الحشوية[1] لعلي بن محمد التميمي المغربي، الأشعري، وكتاب الرسائل المرضية في نصر مذهب الأشعرية، وبيان فساد مذهب الحشوية للسيد الحسين بن عبد الرحمن العلوي الشافعي المعروف بالأهدل[2].

ولم يقتصر الأمر على التأليف العلمي بل امتد أحيانًا إلى بعض السلوكيات العملية، ومن ذلك ما يذكره نفر من المؤرخين عن بعض الأثرياء الذين أنشأوا مدارس لطلبة العلم، واشترط شروطًا لدخولها منها ألا يدخلها "يهودي ولا نصراني ولا حنبلي حشوي"[3]، وقد أبدى أحد علماء الحنابلة المتأخرين – وهو عبد القادر بن بدران – ضيقه وتبرمه من هذا الاشتراط حيث أشار إلى أن "اشتراطه عدم دخول اليهود والنصارى إلى مدرسته علة مفهومة، وأما اشتراطه عدم دخول حنبلي حشوي فليس بمفهوم، لأن الحنابلة لا يتصفون بهذه الصفة، وهذا من التعصب الناشئ عن الجهل، والسعي في تفريق اجتماع هذه الأمة المحمدية"[4].

* * *

المبحث الثالث

عوامل ظهور الاتجاهات الحشوية

ومن المعروف أن تعليل ظهور مذهب أو اتجاه فكري ما يعد من الأمور العسيرة والمعقدة نظرًا لأن نشأة المذاهب المختلفة دائمًا ما تمثل ظاهرة مركبة ومتشابكة، يشترك أكثر من عامل في إبرازها للوجود، ويصعب حينئذ ردها إلى سبب واحد يقال إنه دون سواه كان العنصر الأساسي في وجود هذا المذهب أو ذاك.

وكثيرًا ما يعتري العقائد والمذاهب الكثير من التداخل والتركيب والامتزاج،

---

(١) عمر كحالة: معجم المؤلفين ١٨٧/٧ .

(٢) الشوكاني: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ٢٠٦/١ .

(٣) النعيمي: الدارس في تاريخ المدارس ٢٠١/١ .

(٤) عبد القادر بن بدران: منادمة الأطلال ١٠٠/١ .

ويقارنها نوع من ردود الفعل والتأثيرات النفسية، والتقلبات الفكرية، كذلك يلاحظ أن الأفكار والمذاهب المتصلة بجانب الاعتقاد تبدأ عادة بصورة بسيطة ساذجة في اللفظ والمعنى، ثم لا تلبث أن تتعقد وتتفرع، بل تتغير وتتبدل، وربما تتناقض وتتضارب، وتختلف كثيرًا عن الهيئة الأولى التي نشأت عليها[1].

ولا شك أن الكلام المتقدم ينطبق على ظاهرة الحشو كما ينطبق على كافة الاتجاهات الحشوية التي انبثقت عنها، وسوف نحاول فيما يلي أن نشير إلى عدد من العوامل التي كان لها – فيما يبدو لنا – أثر جوهري وكبير في ظهور الاتجاهات الحشوية المختلفة، ولاسيما تيارها الأبرز وهو تيار التجسيم والتشبيه.

١ – العامل النفسي

ويقصد بهذا العامل أن نفسية عوام الناس وسذاجهم، وخصائص شخصيتهم تكون دائمًا أكثر ميلاً واستعدادًا لقبول النزعة الحشوية، وخصوصًا فيما يتعلق برواية الموضوعات والقصص والخرافات التي تستهوى عقلية العوام، وتشبع نهمهم لمعرفة المغيبات في الماضي أو المستقبل كما تتناسب مع غريزة حب الحكي والتي تعتبر من الصفات الراسخة لدى أكثر الناس.

وليس بوسع أحد أن يستنكر حب الحكي في ذاته، أو يقول إن الميل لسماع القصص من الأمور المرذولة أو المستقبحة على عمومها، فتلك كلها نزعات فطرية لم يأت الشرع بكبتها أو قمعها، وإنما جاء لترشيدها وتوجيهها الوجهة النافعة والمفيدة لصاحبها، عقلاً وقلبًا، وعاجلاً وآجلاً.

ومن هذا المنطلق نلاحظ أن القرآن الكريم قد راعى هذا الاحتياج الإنساني أشد الاحتياج وكذلك السنة النبوية، حيث حفلا بالعديد من القصص النافع المفيد، ولكن

(١) انظر د. سفر الحوالي: ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي ١/٢٨٣، ٢٨٤، ومحمد العبده، وطارق عبد الحليم: المعتزلة بين القديم والحديث ص١٠١ .

للأسف الشديد فإن بعض الناس لم يكتف بما في كتاب الله وسنة رسوله من أحسن القصص وأبلغه، وإنما تطلعوا إلى الإسرائيليات والموضوعات ليشبعوا النهم الإنساني لمعرفة التفاصيل في بعض القصص التي لا يترتب عليها كثير فائدة أو نفع، ولعل هذا الباب كان من أخطر الأبواب التي دخل منها الحشو، وتسلسل إلى عدد غير قليل من كتب التفسير والحديث والتاريخ.

وإذا كان هذا الجانب من جوانب العامل النفسي قد أسهم في ظهور الحشو المتعلق بجانب الرواية، فإن هناك جانبًا آخر أشار إليه بعض أهل العلم من القدامى والمتأخرين ويحتاج إلى شيء من النظر والمناقشة، وخلاصة هذا الجانب هو أن نفسية عوام الناس وطبيعتهم يصعب عليها قبول فكرة التنزيه المحض، وأن الإله سبحانه وتعالى ليس مشابهًا للبشر، أو مماثلاً لهم بأي حال من الأحوال، ولذا فقد مالوا إلى التشبيه، وتصوروا صفات الخالق سبحانه على الوجه الذي يماثل صفات المخلوقين، وقد ترددت هذه الفكرة عند بعض الفلاسفة[1]، ونفر من المتكلمين[2]، كما ترددت عند بعض أساتذة الفلسفة الإسلامية المعاصرين[3].

وربما كان الأخطر من الفكرة السابقة ما زعمه بعض الفلاسفة من أن الأنبياء والرسل قد أخبروا عن الله وعن أمور الغيب مثل الملائكة والجنة والنار بأمور غير مطابقة للأمر في نفسه، لكنهم خاطبوا جمهور الناس وعوامهم بما يتخيلون به ويتوهمونه من أن الله جسمٌ عظيم، وأن الأبدان تعاد، وأن لهم نعيمًا محسوسًا، بينما الأمر ليس كذلك، لأن مصلحة الجمهور أن يخاطبوا بما يتوهمون به ويتخيلون أن الأمر هكذا، وإن كان هذا كذبًا فهو كذب لمصلحة الجمهور إذا كانت دعوتهم ومصلحتهم لا

(١) ابن رشد: مناهج الأدلة في عقائد الملة ص١٧١، ١٧٢ ...

(٢) الرازي: مفاتيح الغيب ١٣٧/٧ .

(٣) انظر د. محمد البهي: الجانب الإلهي من التفكير الإسلامي ص٨٢، ٨٣ .

تمكن إلا بهذه الطريق[١].

وقد صرح ابن سينا بهذه الفكرة بوضوح في رسالته الأضحوية في أمر المعاد[٢]، وإذا كان هذا الكلام يتصور صدوره من صاحب اتجاه فلسفي، لا يلقى بالا لظواهر النصوص، ويفتح المجال واسعًا لتأويلها كي تتفق مع ما يظنه برهانًا ويقينًا عقليًا، إن من المستغرب جدًا أن تتسلل الفكرة بحذافيرها إلى نفر من المتكلمين حيث نجدهم يقولون بكلام مشابه[٣]، ولعله لا يخفي ما في هذا المبدأ – لو ثبتت صحته – من لوازم وآثار في غاية الخطورة تفتح باب الشك في عصمة الرسول، وصحة الكتب المنزلة من الله.

ولست أدري كيف يجوز على نصوص الشرع أن تخبر بما هو مخالف للواقع من أجل تلك المصلحة المزعومة، وألا يعد هذا من قبيل الكذب والخداع وإيقاع الناس في الضلال؟ ثم ما الفرق بين تلك التأويلات وتأويلات الباطنية التي تجعل الدين كله بعقائده وعباداته من قبيل الرموز والأسرار وكل ما اشتمل عليه من ظواهر غير مراد بحال.

ومن تطبيقات المنهج المذكور تأويل جماعة من المتكلمين – سواء من المعتزلة أو الأشاعرة – لقوله تعالى: ﴿أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ﴾ (الملك: ١٦) بأن الآية لا تدل على علو الله على خلقه، وإنما وردت وفقًا لاعتقاد العرب أن الله في السماء "فكأنه تعالى قال لهم: أتأمنون من قد أقررتم بأنه في السماء، واعترفتم له بالقدرة على ما يشاء أن يخسف بكم"[٤].

ولا شك أن مثل هذا التأويل غير صحيح بالمرة إذ إن السياق لا يشهد له،

---

(١) انظر ابن تيمية: درء التعارض ١/٨- ٩، وانظر د. المحمود: موقف ابن تيمية من الأشاعرة ٢/٨١٦ .

(٢) ابن سينا: الرسالة الأضحوية في أمر المعاد ص٤٤- ٥١، وانظر ابن تيمية: درء التعارض ٢/٣٣٠، وابن القيم: الصواعق المرسلة ٣/١٠٩٨ .

(٣) التفتازاني: شرح المقاصد في علم الكلام ٢/٦٧ .

(٤) الرازي: مفاتيح الغيب ٣٠/٥٩٢، وانظر أيضًا الزمخشري: الكشاف ٤/٥٨٥ .

ونصوص القرآن ونصوص السنة مليئة بإثبات علو الله على خلقه، كما أن تأويلاً كهذا يفتح الباب للي أعناق النصوص، والزعم بأن المراد منها ليس ما تفيده دلالات اللغة، وإنما سيق ذلك كله وفقًا لاعتقادات المخاطبين من مشركي العرب، ومراعاة لسذاجة عقولهم، وضحالة تفكيرهم وعدم قدرتهم على استيعاب مبدأ تنزيه الذات الإلهية.

٢- الغلو في رد الفعل

ونعني بذلك أنه قد يحدث أحيانًا أن يتبنى مذهب أو فرقة كلامية ما اعتقادًا معينًا، ويسرف في تبنيه والدعوة إليه، مما يؤدي إلى ظهور فرقة آخر تتبنى الاعتقاد المضاد تمامًا، وتقابل الغلو السابق بغلو مماثل أو أشد، والغلو إلى أحد الطرفين المتقابلين ظاهرة بشرية، وسمة عامة قلما يخلو منها أحد إلا قلة قليلة من الناس وفيما يتعلق بالفرق الكلامية فمن النادر أن نجد فرقة لم تغل في أصل أو مسألة ما، وتطلق لسانها في المخالفين سبًا وشتمًا[١].

والغلو في الأشخاص يعد من أبرز الأسباب وراء نشوء القول بالتشبيه، وقد درج علماء الفرق على إطلاق اسم الغالية على القائلين بالتشبيه والغلو في منزلة الأئمة[٢]، وللغلو مظهر آخر وأعني به الغلو في رد الفعل على المخالفين في الرأي، وفي ظني أن ثمة قانونًا فكريًا مطردًا، يشبه كثيرًا القانون الشهير في عالم المادة، وهو أن لكل فعل رد فعل يقابله، يساويه في المقدار، ويضاده في الاتجاه، وتطبيقًا لهذا القانون يمكننا القول بأن عقلانية المعتزلة المفرطة استدعت ظهور الأشاعرة، وغلو الخوارج استدعى تفريط المرجئة وإسراف الجبرية في نفي القدرة الإنسانية استدعى غلوًا مقابلاً عند القدرية، وتجسيم المشبهة استدعى تعطيل الجهمية، وغلو الشيعة في أهل البيت استدعى ظهور

(١) القاسمي: الجرح والتعديل ص١٢، ١٣، تحقيق: محمد عبد الحكيم القاضي.
(٢) انظر الشهرستاني: الملل والنحل ١/١٧٢، د. جابر إدريس: مقالة التشبيه ١/١٨٧ .

النواصب، وهكذا الحال في أمثلة كثيرة يلحظها المطالع للفكر الكلامي[١].

كذلك يلاحظ أن ردود الأفعال قد تسير فيما يشبه الدورات التاريخية المتتالية، فنزعات التشبيه الأولى جاءت ردًا على التجهم، ثم ظهر الاعتزال في فترة انتشر فيها التجسيم والتشبيه عند بعض الاتجاهات المغالية، وطوائف من الشيعة، مثل مقاتل بن سليمان الذي نُقلت عنه أقوال في غاية الخطورة[٢]، كما لا ننسى تبني الشيعة الأوائل لنظرية التجسيم التي يعد هشام بن الحكم أبرز ممثليها[٣]، ثم توالت نزعات أخرى من التشبيه والحشو ردًا على إسراف المعتزلة في التنزيه.

وقد ظهرت آثار ردود الأفعال المغالية في جانبين مهمين:

الجانب الأول: المبالغة في التشبيه والتجسيم – وهما من أبرز مظاهر الحشو – ردًا على مبالغة الجهمية والمعتزلة في النفي والتنزيه، وقد نبه على هذا المعنى الكثير من أهل العلم في عصور تاريخية مختلفة[٤].

ومن المعروف أن المعتزلة في تصورهم لصفات الله، أو ما يعرف لديهم بمبدأ التوحيد قد أسرفوا في جانب التنزيه أو السلب، وكادوا أن يجردوا الذات الإلهية من كل صفة سوى السلوب[٥]، وليست المعتزلة بأول من ذهب إلى هذا الإسراف في النفي للصفات، وتغليب جانب التنزيه على الإثبات فقد سبقهم – بل فاقهم – في هذا الغلو اتجاهات كلامية أخرى لعل أبرزها الجهمية المنتسبون لجهم بن صفوان، ومع أنه ليس بين أيدينا شيء ذو بال من كتب الجهمية، إلا أن إسرافهم في النفي يعد من

---

(١) انظر أحمد قوشتي: خصائص الشخصية المصرية ومدى تأثيرها على ظهور الاتجاهات الكلامية وانتشارها ص٥٩ .

(٢) انظر: الأشعري مقالات الإسلاميين ص١٥٢، ١٥٣، وعبد القاهر البغدادي: الفرق بين الفرق ص٢٢٧ .

(٣) انظر: د. النشار نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ١/٢٨٩- ٣٠٦ .

(٤) انظر ابن قتيبة: الاختلاف في اللفظ ص٤٠، وابن تيمية: مجموع الفتاوى ٦/٥١، والمقريزي: الخطط ٢/٣٤٨، ود. سهير مختار: التجسيم عند المسلمين ص١٥ .

(٥) الأشعري: مقالات الإسلاميين ص١٥٥، وانظر ابن أبي العز: شرح العقيدة الطحاوية ١/٦٩، ٧٠ .

الأمور المتفق عليها بين مؤرخي الفرق[1].

ومن الملاحظات التي تجدر الإشارة إليها أن هناك نوعًا من ردود الفعل المتبادلة بين كل من الجهمية – ثم المعتزلة فيما بعد[2] – وبين المشبهة، لاسيما وأن جهم بن صفوان ومقاتل بن سليمان كانا متعاصرين، بل جرت بينهما مناظرات، وكما يقول الذهبي فقد "قدم مقاتل مرو، فتزوج بأم أبي عصمة نوح بن أبي مريم، وكان يقص في الجامع، فقدم عليه جهم فجلس إليه، فوقعت العصبية بينهما، فوضع كل واحد منهما على الآخر كتابًا ينقض على صاحبه"[3]، وقد أشار إلى هذا الغلو المتبادل بين جهم ومقاتل عدد من أهل العلم منهم أبو حنيفة رحمه الله والذي ذكر عنده الرجلان فقال: "كلاهما مفرط، أفرط جهم في نفي التشبيه حتى قال إنه ليس بشيء، وأفرط مقاتل حتى جعل الله مثل خلقه"[4]، وقال أيضًا: "أتانا من المشرق رأيان خبيثان جهم معطل ومقاتل مشبه"[5].

وأما الجانب الثاني: الذي ظهرت فيه آثار رد الفعل فيتمثل في المبالغة في جمع المرويات والاحتجاج بها حتى لو كانت واهية أو موضوعة، ردًا على مبالغة بعض الفرق في رد المرويات وتكذيبها أو تأويلها.

ومن المعروف أن المحدثين ابتلوا بانتساب جماعة من عوام الرواة وعديمي التحقيق إليهم وقد هالهم ما رأوه من إنكار بعض الفرق كالجهمية والمعتزلة وطوائف من

---

(١) انظر: الأشعري: مقالات الإسلاميين ٢٨٠، والاسفراييني: التبصير في الدين ص١٠٨، وعبد القاهر البغدادي: الفرق بين الفرق ص١٩٩، والشهرستاني: الملل والنحل ٨٥/١، ود. النشار: نشأة الفكر ٢٥٠/١ .

(٢) انظر الكوثري: مقدمة تبيين كذب المفتري ص١٢، ١٣، ود. النشار نشأة الفكر ٤٢٢/١، ٤٢٩ .

(٣) الذهبي: تاريخ الإسلام ٦٤١/٩، وانظر ميزان الاعتدال ٥٠٥/٦ .

(٤) ابن عساكر: تاريخ دمشق ١٢٢/٦٠، والذهبي: تاريخ الإسلام ٦٤١/٩، وابن حجر: تهذيب التهذيب ٢٥١/١٠ .

(٥) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ١٦٦/١٣، وابن عساكر: تاريخ دمشق ١٢٢/٦٠، وابن حجر: تهذيب التهذيب ٢٥١/١٠ .

المتكلمين لجم غفير من أحاديث السنة، والتعامل معها بمسالك مختلفة تؤول في نهاية المطاف إلى ردها صراحة أو تأويلاً.

فمن هذه الفرق من رفض السنة بالكلية، ومنهم من اقتصر على قبول المتواتر ورد أخبار الآحاد مطلقًا، ومنهم من توسع في تأويل النصوص وفرغها من معانيها، وحملها على مدلولات أخرى بعيدة كل البعد عن دلالاتها الظاهرة، ولم يخل الأمر من وجود نزعات مسرفة في الغلو، ردت بعض الأحاديث بأساليب منكرة ومستفزة جدًا، وصادمة لعقول وقلوب المؤمنين، كما أنها لا تخلو من تجاوز للأدب في التعامل مع مقام النبي ﷺ.

ومن نماذج ذلك ما حكي عن عمرو بن عبيد[1] أنه سمع حديث ابن مسعود أنه قال: "حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق: إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يومًا، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح، ويؤمر بأربع كلمات، يكتب رزقه وأجله، وعمله، وشقي أو سعيد، فوالذي لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة، حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار، حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها"[2].

وقد رد عمرو هذا الحديث بأسلوب غاية في الفجاجة، فقال: "لو سمعت الأعمش يقول هذا لكذبته، ولو سمعته من زيد بن وهب لما صدقته، ولو سمعت ابن مسعود يقوله ما قبلته، ولو سمعت رسول الله ﷺ يقول هذا لرددته، ولو سمعت الله يقول هذا

(١) انظر: د. سليمان الغصن: موقف المتكلمين من الاستدلال بنصوص الكتاب والسنة ٢٣٩/١، ود. محمد صالح السيد: عمرو بن عبيد وآراؤه الكلامية ص١٢٠ .

(٢) رواه البخاري (٢٩٩٦)، ومسلم (٤٧٨١).

لقلت ليس على هذا أخذت ميثاقنا"[1].

وفي مسلك مشابه أنكر النظام انشقاق القمر، وطعن في رواية ابن مسعود، واصفًا إياها بالكذب الذي لا خفاء به[2]، كذلك نقل الجاحظ عن النظام أنه عاب على المحدثين روايتهم الأحاديث التي تحكم بنجاسة سؤر الكلاب، وتأمر بقتل بعض أنواعها؛ كالكلب العقور والكلب الأسود، ثم تحكم بطهارة الهرة وكونها من الطوافين والطوافات، مع أن الكلب من جهة نظره العقلية أعظم منفعة من السنور[3]!

ولست أدري حقًا ما وجه الإشكال في الحديث، والقضية ليست التفضيل بين منافع الكلاب أو القطط، وإنما الحكم بطهارة هذا ونجاسة ذلك، وهي مسألة تعبدية في المقام الأول، ثم إن الأبحاث العلمية الحديثة قد أثبتت اشتمال لعاب الكلب على أنواع من الجراثيم والميكروبات، ولابد من غسلها.

وفي ظل ما سبق كله جاءت ردود الأفعال من جهلة الرواة، ومن الكذابين والوضاعين لتسرف في رواية أحاديث باطلة سندًا ومتنًا، وتؤلف الكتب لنشرها وترويجها ردًا على هذا الغلو من منكري الأحاديث أو الطاعنين فيها، وهو أمر أشار إليه الكثير من أهل العلم[4].

وإذا كان المتكلمون قد ردوا أحاديث الصفات، فلا مانع من رواية مئات الأحاديث الواهية والموضوعة ردًا عليهم، وإذا كانوا قد أنكروا المعجزات الحسية فلا ضير من نقل عشرات الأحاديث المكذوبة في هذا الباب، وفي غيره من الأبواب التي أنكر المتكلمون ما صح فيها فجاء هؤلاء وقابلوا غلوهم في إنكار ما ثبت بغلو مقابل

---

(١) انظر الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ١٢/١٧٠، والمزي: تهذيب الكمال ٢٢/١٢٩، والذهبي: تاريخ الإسلام ٩/٢٣٩، وميزان الاعتدال ٥/٣٣٣ .

(٢) ابن قتيبة: تأويل مختلف الحديث ص٤٨، ٤٩ .

(٣) الجاحظ: الحيوان ٢/٥٥ .

(٤) انظر ابن قتيبة: الاختلاف في اللفظ ص٢٠، وابن تيمية: مجموع الفتاوى ٤/٢٣، والذهبي: العلو للعلي الغفار، ص١٧١ .

متمثل في رواية كل ما وقفوا عليه حقًا كان أو باطلاً، وصحيحًا كان أو موضوعًا.

وقبل أن نترك الكلام عن رد الفعل، وأثره في نشوء ظاهرة الحشو، نود أن نشير إلى أن رد الفعل قد دفع بعضًا من علماء الحديث – الذين هم أبعد الناس عن الحشو والحشوية – إلى نوع من التساهل في رواية ما لم يصح سندًا – ويبدو أنهم ظنوا صحته – ثم رتبوا على ذلك حكمًا عقديًا ليس معهم من صحيح الأدلة ما يثبته، فضلاً عما يثيره من إشكالات وشبه، وفتح الباب لطعون من المخالفين ما كان أغناهم عنها.

والمثال الذي أعنيه هنا هو مسألة إقعاد الله لنبيه ﷺ على عرشه يوم القيامة والزعم بأن هذا هو المراد بالمقام المحمود الذي وعده الله نبيه ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَّحْمُوداً﴾ (الإسراء: ٧٩) اعتمادًا على قول مجاهد في تفسير المقام المحمود الوارد في الآية بأن الله يجلس نبيه ﷺ على عرشه، وقد تبنى القول بذلك عدد غير قليل من أصحاب الحديث[١]، ولعل من قال بذلك الرأي أراد الرد على نفاة استواء الله على عرشه من المعتزلة وغيرهم من المتكلمين فجنح به رد الفعل إلى القول بما لم يصح[٢].

ومع أن الحديث الوارد في هذا الباب لا يصح مرفوعًا[٣] كما أن هذه المسألة ليست محل اتفاق بين السلف[٤] إلا أن التعصب في التعامل معها أدى إلى وقوع فتنة كبيرة في القرن الرابع الهجري، حين ألف أبو بكر المروزي الحنبلي كتابًا في فضيلة النبي ﷺ وذكر فيه إقعاده على العرش، وقد تسبب هذا الكتاب في حدوث فتنة مؤسفة[٥].

وفي رأيي أن أثر مجاهد وهو العمدة في هذه القضية كلها لم يصح سندًا، وحتى لو

---

(١) انظر ابن القيم: بدائع الفوائد ٨٤١/٤ .

(٢) ابن أبي يعلى: طبقات الحنابلة ١٠/٢ .

(٣) انظر ابن تيمية: درء التعارض ٢٣٧/٥ .

(٤) ابن تيمية: الاستغاثة في الرد على البكري ٥٣٩/٢ .

(٥) ابن كثير: البداية والنهاية ١٦٢/١١، وانظر ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٥٧/٧، وأبو الفداء: المختصر في أخبار البشر ٢٠٠/١ .

صح فهو رأي تابعي لا يثبت بمجرد كلامه عقيدة كهذه، فضلاً عن أن ما صح في تفسير الآية هو حديث آخر يفيد أن المقام المحمود يراد به شفاعته العظمى ﷺ لأهل الموقف، وهذا القول في تفسير الآية هو الثابت عن مجاهد نفسه[1] وهو الذي صححه ابن جرير في تفسيره[2]، والقرطبي[3]، ولم يذكر ابن كثير غيره[4].

وطالما أن الأثر لم يصح فكان الأولى الإعراض عنه بالكلية، والاكتفاء بما صح وعدم إثبات عقيدة كهذه بأثر واه السند، لاسيما أن ما تضمنه من إقعاد النبي على العرش لم يثبت في آية أو حديث، وهو يفتح الباب لاتهام المحدثين بالحشو والتجسيم كما فعل ذلك نفر من القدامى[5] والمحدثين[6]، بل ذهب الدكتور النشار إلى أن هذا الحديث "أثر أكبر الأثر في الحشوية والمشبهة"[7] مع أنني لا اعتقد أن الأمر كان بهذه المثابة، وليس هذا الأثر – مع إقرارنا – بعدم صحته سوى واحد من بين ركام هائل من الأحاديث والآثار الموضوعة والضعيفة والتي تصدى لها جهابذة المحدثين بالتفنيد والإبطال.

٣- العامل الخارجي

ولا شك أن العامل الخارجي يعتبر عنصرًا أساسيًا في نشأة كثير من الآراء والفرق المختلفة وثمة شواهد كثيرة على ذلك، وإن بقي الخلاف في تقدير دوره، وهل كان له الغلبة في تأسيس هذه الفرقة أو تلك، أم أن العوامل الداخلية كانت أغلب، وليس

---

(١) انظر الألباني: مختصر العلو للذهبي ص١٧ .

(٢) انظر الطبري: تفسير الطبري ٥٢٩/١٧ .

(٣) انظر القرطبي: الجامع لأحكام القرآن ٣٠٩/١٠ .

(٤) انظر ابن كثير تفسير القرآن العظيم ١٠٣/٥، والبداية والنهاية ١٦٢/١١ .

(٥) انظر ابن الجوزي: دفع شبه التشبيه ص٢٤٦ .

(٦) انظر الكوثري: مقدمة تبيين كذب المفتري لابن عساكر ص١٤، والتعليق على الاختلاف في اللفظ لابن قتيبة ص٤٠ .

(٧) د. النشار: نشأة الفكر ٢٨٩/١ .

للعامل الخارجي سوى تأثير طفيف.

وفيما يتعلق بظهور الحشو والحشوية، فهناك تفاوت واضح بين الدارسين في قيمة هذا العامل، فهناك من يرى أن فكرة التشبيه والتجسم – وهي أبرز مظاهر الحشو – إذا نظر إليها في صورتها العقلية الكلامية فإنها تعد "انبثاقًا ذاتيًا للتفكير الإسلامي نفسه، وليست وليدة التأثير اليهودي في نشأتها، لأن هذه الفكرة ليست خاصة باليهود وحدهم، بل هي من الأفكار المشتركة بين أصحاب الديانات عندما يحاولون الكلام في ذات الإله، وتحديد صفاته وبيان علاقته بالإنسان"[١].

ومن خلال المفهوم السابق يكون التجسيم فكرة فلسفية يمكن أن تظهر في أي ثقافة أو حضارة، ولذا ذهب البعض إلى أن الكرامية – وهي من أبرز الفرق القائلة بالتجسيم – ليست مدرسة دينية فحسب، وإنما هي مدرسة فلسفية أيضًا، والفارق بين المدرسة الدينية الكلامية والمدرسة الفلسفية في هذه المسألة هو أن المدرسة الكلامية قد تشبه الذات الإلهية بغيرها من الموجودات بناء على فهم ما للنصوص، لكنها لا ترى أن الله جسم بالفعل، أما المدرسة الفلسفية فترى أن الله ليس شبيهًا بالأجسام وإنما هو جسم بالفعل[٢].

وقد مضى بعض الدارسين خطوة أبعد في تفسير نشأة التجسيم حينما رأى أنه ليس من اللازم أن نبحث عن مصدر أجنبي يكون هو الأساس في القول بالتجسيم، ثم علل ذلك بأن "التجسيم كالتنزيه تمامًا لا يحتاج إلى مصدر خارجي للقول به، إذ هو فكرة طبيعية وشعور فطري في قلب وعقل من يصرح به، ولا يستوجب ذلك البحث عن مصدر آخر غير الفطرة والطبيعة"[٣].

وفي ظني أنه يصعب استساغة القول بأن التجسيم شعور فطري، فالنفس السوية

---

(١) د. السنهوني: دراسات نقدية في مذاهب الفرق الكلامية ص٣٠٥ .

(٢) انظر د. فيصل عون: علم الكلام ومدارسه ص١٥٦ .

(٣) د. سهير مختار: التجسيم عند المسلمين ص٨١ .

تأباه والفطرة الصحيحة تقتضي وصف الإله بجميع الكمالات، وتنزيهه عن شتى النقائص، ومن أوضحها مشابهة البشر، بكل ما في صفاتهم من عجز ونقص وقصور.

وخلافًا للوجهة السابقة التي تعلي من شأن العوامل الذاتية، فإن ثمة فريقًا آخر قد بالغ في أثر العامل الخارجي، وجعله السبب الرئيسي في ظهور الحشو"[1]، ولعل من الأمور التي تدعو للتأمل وتعضد فكرة الأثر الخارجي ارتباط نزعة الحشو – ممثلة في فكرة التجسيم والتشبيه، ووضع الأحاديث المكذوبة – ببعض المدن التي عرفت بكونها ملتقى الحضارات والثقافات الوافدة، ومن أشهر الأمثلة ففي هذا الصدد مدينة خراسان، والتي كانت موطنًا خصبًا للمجسمة والحشوية، كما أنها كانت موطنًا للتعطيل والتجهم، وقد اشتهر بأنها ملتقى للمذاهب الغنوصية القديمة، وفيها برزت ظاهرة وضع الأحاديث، ومنها خرج الجهم بن صفوان ومقاتل بن سليمان، كما تلقى العلم فيها ابن كرام زعيم طائفة الكرامية[2]، ولا شك أن خروج تلك المذاهب والاتجاهات المتضاربة من مدينة واحدة يشي بوجود تأثيرات ثقافية وحضارية ما أثرت بصورة أو بأخرى على فكر أبنائها، والمذاهب التي تبنوها.

وبعد أن عرضنا الوجهتين السابقتين في بيان علة نشوء الحشو فيبقى من المهم أن نشير إلى أن مسألة التأثير والتأثر لا تعدو أن تكون مجرد فرض أو احتمال ظني لا يمكن القطع فيه برأي حاسم حتى نقف على معلومات أكثر ومصادر أوثق تثبت هذا الفرض أو تنفيه[3]، وقد تكون الشواهد على إثبات التأثير قوية أو قريبة من اليقين في بعض الأحوال، وقد تكون مجرد ظنون واحتمالات في أحوال أخرى.

---

(١) الكوثري: مقدمة تبيين كذب المفتري لابن عساكر ص١٠ .

(٢) انظر ابن تيمية: مجموع الفتاوى ٤١٦/٨، ٤٣٧/١٦، ٣٠٠/٢٠، ود. ناصر العقل: دراسات في الأهواء والفرق والبدع ص١٩٠، ود. سهير مختار: التجسيم عند المسلمين ص٥٥، ٨٢ .

(٣) د. السنهوني: دراسات نقدية في مذاهب الفرق الكلامية ص٢٨٤ .

وفي رأيي أن رد نزعة الحشو – وشأنها في ذلك شأن غيرها من الظواهر الفكرية – إلى عامل واحد فحسب أمر غير دقيق، والأقرب أنها نتائج لمزيج من العوامل الداخلية والخارجية وإن كان العامل الخارجي يبدو أوضح تأثيرًا، لاسيما في مجال وضع الحديث وفكرة تجسيم الذات الإلهية المتأثرة بالعقائد اليهودية.

وفيما يتعلق بالعامل الخارجي فثمة أكثر من رافد له، أولها العنصر اليهودي وقد برز تأثيره بوضوح في جانب التجسيم والتشبيه من جهة، وفي جانب شيوع الموضوعات والإسرائيليات من جهة أخرى.

ومن المعروف أن التوراة مكتظة بالتشبيه والتجسيم ووصف الخالق سبحانه وتعالى بالصفات البشرية، فالإله في التوراة على صورة البشر، سريع الغضب، كثير الندم، يحزن ويبكي ويتأسف على أفعاله، ويخادع ويخاتل، ولا يعلم العواقب، ويصارع البشر، وهو ليس رب العالمين جميعًا، بل رب شعب إسرائيل ابنه البكر[١].

لكن السؤال المهم الذي يطرح نفسه عندما نطالع هذه الآراء اليهودية هو مدى تأثيرها على الاتجاهات الحشوية القائلة بالتجسيم والتشبيه، وهل تسربت إليهم فعلاً وظهرت بصورة واضحة فيما تبنوه من آراء؟

ومن الملاحظ أن الكثير من علماء الفرق والمتكلمين القدامى وكذا جماعة من الدارسين المحدثين[٢] قد مالوا إلى إثبات التأثير اليهودي في ظهور نزعة التجسيم، بل ذهب غالبهم إلى تضخيم هذا التأثير، حتى إنهم أرجعوا معظم آراء المجسمة إلى مصدر يهودي، ورأوا أن كل من قال في دولة الإسلام بشيء من التشبيه فقد نسج على منوال اليهود، واقتبس منهم، وأن مشبهة المسلمين إنما صاغوا آرائهم على مثال ما قال

(١) انظر د. محمد علي البار: الله والأنبياء في التوراة ص١٣، ود. سهير مختار: التجسيم عند المسلمين ص١٠٨، ود. فيصل عون: علم الكلام ومدارسه ص٣٠، ود. علي المغربي: الفرق الكلامية الإسلامية ص٧٦ .

(٢) انظر أحمد أمين: ضحى الإسلام ٣٥٤/١، ود. النشار: نشأة الفكر ٣٣٧/١، ود. سهير مختار: التجسيم عند المسلمين ص١٠٨، ١٧٩، ود. فيصل عون: علم الكلام ومدارسه ص٣٠ .

مشبهة اليهود.

وممن قال بذلك الشهرستاني والذي جزم بأن أكثر ما لدى الحشوية من روايات التشبيه إنما هو مقتبس "من اليهود، فإن التشبيه فيهم طباع حتى قالوا: اشتكت عيناه فعادته الملائكة وبكي على طوفان نوح حتى رمدت عيناه"(١)، وذهب الإسفراييني إلى أن هشام بن الحكم ومن قال بقوله في التجسيم إنما "أخذوا تشبيههم من اليهود"(٢) وأرجع الآمدي مذهب الكرامية القائل بأن الله مماس للصفحة العليا من العرش وأنه تجوز عليه الحركة والانتقال وتبدل الجهات إلى "اليهود لعنهم الله"(٣).

أما عن الكيفية التي تسربت بها العقائد اليهودية إلى القائلين بالتجسيم فلا شك أن هناك أكثر من طريق، منها مسلمة أهل الكتاب، ومنها الدس اليهودي، ومنها الاطلاع المباشر على ما ترجم من كتب أهل الكتب.

ومما يؤيد ذلك ما ذكره أهل العلم في ترجمة مقاتل بن سليمان حيث أشاروا إلى أنه كان يقرأ في كتب أهل الكتاب "وكان يأخذ عن اليهود والنصارى علم القرآن الذي يوافق كتبهم، وكان مشبهًا يشبه الرب المخلوقين. وكان يكذب مع ذلك في الحديث"(٤) وربما كان هذا مقصد الإمام أحمد عندما سئل عن مقاتل فقال: "كانت له كتب ينظر فيها، إلا أني أرى أنه كان له علم بالقرآن"(٥).

وأما الرافد الثاني من روافد العامل الخارجي، فيتمثل في الزندقة والزنادقة، وثمة

---

(١) الشهرستاني: الملل والنحل ١/١٠٠ .

(٢) الإسفراييني: التبصير في الدين ص٤١، وانظر د. النشار: ٢/١٨٩ .

(٣) الآمدي: أبكار الأفكار ٢/٣٤، تحقيق د. أحمد المهدي، وانظر د. حسن الشافعي: الآمدي وآراؤه الكلامية ص٣٢٣ .

(٤) ابن حبان: المجروحين ٣/١٤، والسمعاني: الأنساب ٢/٣٣٧، وانظر د. صهيب السقار: التجسيم في الفكر الإسلامي ص٧٢ .

(٥) الخطيب: تاريخ بغداد ١٣/١٦١، والمزي: تهذيب الكمال ٢٨/٤٤٨ .

كلام طويل حول ظاهرة الزندقة؛ من حيث مفهومها نشأتها وتطورها، والعوامل التي أدت إلى ظهورها، ومن هم الزنادقة الذين ظهروا في المجتمع الإسلامي، وتصدى لهم الخلفاء والأمراء[١] والذي يعيننا هنا هو أن أثر الزندقة في ظهور الحشو قد تجلى في أمرين أساسيين:

الأول: شيوع بعض الآراء المغرقة في البطلان والخرافة، ومصادمة الدين والعقل والفطر السوية، والمتضمنة لتأليه البشر، أو ادعاء حلول الله سبحانه في بعض الناس، ومن نماذج ذلك[٢] فرق الروندية[٣] وفرقة المقنعية[٤].

أما **الأثر الثاني** للزندقة في ظهور الحشو فيتمثل في الركام الهائل من الأحاديث المكذوبة والموضوعة، التي افتراها تلك الشرذمة من الزنادقة، وتعمدوا بثها بين المسلمين، بغية إفساد عقائدهم وتضليل عوامهم وضعاف العقول منهم، وقد نقلت أقوال كثيرة عن عدد من هؤلاء الزنادقة يعترفون فيها باقتراف ذلك الجرم الشنيع وأنهم وعوا آلاف الأحاديث المكذوبة[٥].

وربما ثار لدى البعض تساؤل عن الدافع وراء اعتراف الزنادقة بوضعهم هذا العدد الكبير من الأحاديث؟ وقد أرجع نفر من الدارسين ذلك إلى أنهم أرادوا تحدي المسلمين بإصرارهم على زندقتهم.

وذهب آخرون – وهو الأرجح فيما يبدو لي – أن اعتراف الزنادقة بوضع هذا

---

(١) انظر في الكلام عن ظاهرة الزندقة: ابن النديم: الفهرست ص٤٧٣، وأحمد أمين: ضحى الإسلام ١/١٣٨-١٥٨، وزهدي جار الله: المعتزلة ص٣٨- ٤٦، وعاطف شكري أبو عوض: الزندقة والزنادقة.

(٢) انظر عاطف شكري أبو عوض: الزندقة والزنادقة ص١٢٥ .

(٣) انظر الطبري: تاريخ الطبري ٤/٣٩٥، والمقدسي: البدء والتاريخ ٥/١٣٢، وابن الجوزي: المنتظم ٨/٣١، واليافعي: مرآة الجنان ١/٢٩٢ .

(٤) انظر تاريخ الطبري: ٤/٥٦٠، وعبد القاهر البغدادي: الفرق بين الفرق ص٢٤٣، وابن حزم: الفصل ٤/١٤٣، وابن خلكان: وفيات الأعيان ٣/٢٦٣، ٢٦٤، وابن العماد: شذرات الذهب ١/٢٤٨ .

(٥) انظر د. عجاج الخطيب: السنة قبل التدوين ص٢٠٨، ود. عمر فلاتة: الوضع في الحديث ص٢٢٢ .

العدد الهائل من الحديث ليس سوى جزء من مخططهم للطعن في الدين وتنفير الناس منه وليس معنى هذا أنهم لم يكذبوا مطلقًا، بل إنهم بالفعل كذبوا على رسول الله ﷺ الكثير لكن ما ينبغي "أن يسلم لهم الادعاء بوضع هذا الأعداد الهائلة، لاسيما وأن بعضهم حصرها في تحليل الحرام أو تحريم الحلال، ولو تتبعنا الكتب التي عنيت بجمع الأحاديث الموضوعة لم تبلغ هذا العدد فضلاً عن أن تبلغ أحاديث الأحكام هذا الرقم، فالزنادقة كما أفسدوا حال حياتهم أرادوا أن يفسدوا أيضًا بعد أخذهم وتقتيلهم، فألقوا القول رغبة في تشكيك الناس في سنة رسولهم ﷺ"[1].

ويمكن أن نضيف رافدًا ثالثًا للعامل الخارجي إضافة للأمرين السابقين وهو الرافد الفلسفي القديم، متمثلاً في كل من الديانات الشرقية القديمة، والفكر الرواقي، والغنوصي، وثمة إشارات عديدة إلى هذا التأثير لدى بعض من كتبوا في الفرق قديمًا مثل الإسفراييني في كتابه التبصير في الدين[2]، ثم أخذ الأمر اهتمامًا وتفصيلاً أوسع لدى عدد غير قليل من الدارسين المعاصرين[3].

وقد أشار الدكتور النشار في كتابه نشأة الفكر الفلسفي إلى أثر الفلسفة الرواقية الخطير في العالم الإسلامي، متبنيًا القول بأن أثر هذا الاتجاه الفلسفي لا يقل أبدًا عن أثر أرسطو، ومن أبرز آثار الرواقية التي تعنينا هنا تأثيرها على بعض القائلين بالتجسيم من أمثال مقاتل بن سليمان، وهشام بن الحكم، لاسيما أن المذهب الرواقي يقول بفكرة جسمية الله وجسمية الوجود[4].

---

(١) د. عمر فلاتة: الوضع في الحديث ص٢٢٢ .

(٢) انظر الإسفراييني: التبصير في الدين ص١١٣ .

(٣) انظر د. فيصل عون: علم الكلام ومدارسه ص١٥٦، ود. عبد الفتاح المغربي: الفرق الكلامية الإسلامية ص١٥٣، ود. السنهوتي: دراسات نقدية في مذاهب الفرق الكلامية ص٢٨٤ .

(٤) انظر د. النشار: نشأة الفكر ١/٧٠، ١٧١، ١٧٣، ود. سهير مختار: التجسيم عند المسلمين ص١٣٩، ود. السنهوتي: دراسات نقدية في مذاهب الفرق الكلامية ص٢٨٤ .

أما أثر الغنوصية فيمكننا أن نرصده في مجالين أساسين: أولهما وضع الأحاديث الواهية والمكذوبة[١]، ولاسيما ما كانت معانيها متضمنة لشيء من الحلول أو الاتحاد أو الغلو فيما يعرف بالحقيقة المحمدية، ومن أمثلة ذلك[٢] حديث "كنت نبيًا وآدم بين الطين والماء"[٣]، وحديث "كنت كنزًا مخفيًا فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق فيه عرفوا"[٤] وحديث "لما خلق الله العقل قال له: أقبل فأقبل، ثم قال له: أدبر فأدبر، فقال: وعزتي ما خلقت خلقًا أعجب إلي منك، بك آخذ، وبك أعطي، وبك الثواب وعليك العقاب"[٥].

وأما المجال الثاني – وربما كان الأكثر خطرًا – فيتمثل في آراء أصحاب الاتجاه الصوفي الفلسفي حيث دخلت فكرة الثنائية الغنوصية بين الله والمادة في عقائدهم، فأصبح محمد ﷺ العقل الأول، ومن هذا العقل خرج أشياء كثيرة في تدرج تنازلي حتى نصل إلى المادة أصل الشرور في العالم، لكن الإنسان يستطيع أن يصل ثانية إلى العقل الأول عن طريق المنهج العرفاني[٦]، وقد جزم د. النشار بأن "التصوف الفلسفي في الإسلام قد تأثر بالغنوص، وسقط عدد من مفكري الإسلام ضحية له – منهم

---

(١) انظر د. عبد القادر محمود: الفلسفة الصوفية ص٦ .

(٢) انظر د. النشار: نشأة الفكر ١/١٨٥ .

(٣) وقد حكم ابن تيمية على الحديث بهذا اللفظ بأنه كذب باطل فانظر ابن تيمية: أحاديث القصاص ص٨٧، والزركشي: اللآلئ المنثورة ص١٧٢، والعجلوني: كشف الخفاء ٢/١٣٢، والكرمي: الفوائد الموضوعة ص١٠٤، والألباني: الضعيفة (٣٠٢).

(٤) وهذا الحديث لا أصل له كما حكم بذلك الكثير من أهل العلم فانظر ابن تيمية: مجموع الفتاوى ١٨/١٢٢، والسخاوي: المقاصد الحسنة ص٥٢١، والعجلوني: كشف الخفاء ٢/١٧٣، والألباني: الضعيفة (٦٥٢٣)، ومع أن الحديث لا أصل له فقد استدل به عدد من المصنفين في علوم شتى دون تنبيه على وضعه. انظر: تفسير الرازي ٢٨/٢٠٠، وتفسير أبي السعود ٢/١٣٠، والتعريفات للجرجاني ص٢١٨، كما ألف بعض الصوفية رسالة مستقلة في شرحه انظر كشف الظنون ٢/١٠٤٠ .

(٥) وهذا الحديث موضوع كما حكم بذلك كثير من أهل العلم فانظر ابن الجوزي: الموضوعات ١/١٧٤، وابن تيمية: مجموع الفتاوى ١٨/٣٣٦، والجواب الصحيح ٥/٤٠، وابن القيم: المنار المنيف ص٦٠، والعجلوني: كشف الخفاء ٢/٢٣٦، والألباني: مشكاة المصابيح (٥٠٦٤).

(٦) انظر د. النشار: نشأة الفكر ١/٢١١، ٢١٢ .

الحلاج، والسهروردي المقتول، وعين القضاة الهمذاني، والششتري، ومحيي الدين بن عربي، وغيرهم"[1].

ومن مظاهر الغنوص الخطيرة أيضًا القول بحلول الله تعالى في خلقه، وممن قال بذلك الحلمانية المنسوبين إلى أبي حلمان الدمشقي، وكانوا يرون حلول الإله في الأشخاص الحسنة فإذا رأى هو وأصحابه صورة حسنة سجدوا لها معلنين أن الله حل فيها[2]، ومن نماذج الغنوص الشيعي ابن أبي العذافر الشلمغاني، وهو صوفي من غلاة الشيعة أدعى حلول روح الله فيه، وقال برفع التكاليف عن أتباعه، وفي نهاية الأمر قتله الخليفة الراضي[3].

* * *

المبحث الرابع
أبرز الاتجاهات الحشوية

ولعل من المهم أن نشير في مفتتح هذا المبحث إلى أن أبرز مشكلة تواجه من يحاول تتبع الاتجاهات الحشوية، ومعرفة مؤسسيها والآراء التي انتحلتها هي أن الكتب الكلامية حافلة بظاهرة اتهام الخصوم بالحشو، ورميهم بالتجسيم والتشبيه والتنكب عن المذهب الصحيح.

وقد سبق أن أشرنا إلى أن عمرو بن عبيد هو أول من سن تلك السنة، حين اتهم ابن عمر ﷺ بالحشو، ثم استفحل الأمر بعده، وصارت كل طائفة ترمي خصومها بالحشو وتصفهم بالحشوية، ولم يقتصر الأمر على اتهام الخصوم بالحشو كوسيلة للذم

(١) المصدر السابق ٢١٢/١ .

(٢) انظر عبد القاهر البغدادي: الفرق بين الفرق ص٢٤٥، والإسفراييني: التبصير في الدين ص١٣٢ .

(٣) انظر الإسفراييني: التبصير في الدين ص١٣٤، وابن الجوزي: المنتظم ٢٧١/٦، وابن الأثير: الكامل ٤٥٥/٣، والذهبي: تاريخ الإسلام ٢٤/٢٤، ود. النشار: نشأة الفكر ٢١٢/١، ٢١٣ .

والانتقاص فحسب، بل نسب للحشوية آراء يصعب أن يقول بها أي طائفة من المسلمين لديها أدنى معرفة بالعلم أو حقائق الكتاب والسنة، وإنما يمكن أن تصدر من عوام لا عقل لهم ولا تمييز.

ومن أمثلة ذلك ما حكاه السكسكي في كتابه البرهان عن جماعة من الحشوية في طبرستان، وفي بعض أصبهان "يقولون بأن الله – تعالى عن قولهم – على صورة شاب أمرد له شعر قطط، في رجله نعل من ذهب، ينزل يوم عرفة على جمل أحمر، وينزل في كل ليلة جمعة، وذكر العزيزي أنهم إلى يومه بطبرستان، وفي بعض أصبهان يخرجون في كل ليلة جمعة بالحمير مشدود عليها عود مليح مزوق، يقولون إذا نزل – أي الله تعالى عن قولهم علوًا كبيرًا – اتكأ عليه"[(١)].

ولا يخفى شناعة تلك المعتقدات وتهافتها، واستحالة أن يقول بها عاقل فضلاً عن عالم وليس بمستبعد أن يكون هؤلاء النفر مجموعة من الجهال الطغام يمارسون طقوسًا أو عادات متوارثة، وربما ورثوها عن آبائهم الأولين، أو زينها لهم بعض أعداء الإسلام ممن قصدوا إفساد عقائدهم وإيقاعهم في الكفر الصراح.

ومن الأمثلة الأخرى ما حكاه عدد من الأصوليين[(٢)] عن الحشوية أنهم يقولون بأن الله سبحانه يجوز أن يتكلم الله بكلام ولا يعني به شيئًا، وإنما هي مجرد ألفاظ مرصوصة بجانب بعضها البعض، ولا تعني شيئًا، ولا شك في قبح هذا القول من جهة، وصعوبة أن يتبناه من شم رائحة العلم من جهة أخرى، وقد نفي ابن تيمية رحمه الله أن يكون هناك مسلم قد ذهب إلى هذا الرأي وأن ما يقصده الحشوية هو اشتمال كلام الله على ما لا نفهم نحن معناه، وليس على ما لا معنى له أصلاً وبين نفي المعنى عند المتكلم

---

(١) السكسكي: البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان ص٣٨ .

(٢) انظر الرازي: المحصول ٥٣٩/١، والسبكي: الإبهاج ٣٦٠/١، وابن أمير الحاج: التقرير والتحبير ٢٨٩/٢، والمرداوي: التحبير شرح التحرير في أصول الفقه ١٤٠٣/٣، والتهانوي: كشاف اصطلاحات الفنون ٦٧٩/١ .

ونفي الفهم عند المخاطب بون عظيم[1].

واعتقد أنه يتعين علينا أمام مثل هذه الظاهرة أن نضع ضابطًا منهجيًا نحدد على أساسه من هم الحشوية، ومتى نطلق هذا اللقب على شخص أو طائفة ما، بدلاً من أن نترك المسألة للأهواء والخصومات الشخصية، التي تفتقد العدل والإنصاف، ويغلبها روح التعصب والمنافسة.

ومن خلال المفهوم الذي حددناه في أول هذا البحث للحشوية، ومن خلال ما نسب إليهم من آراء نستطيع أن نذكر فيما يلي عددًا من السمات والآراء التي تميز الحشوية عن غيرهم، ويستحق من وجدت فيه واحدة من تلك السمات أو جميعها أن يوصف بالحشو، سواء أكان حشوًا جزئيًا أو حشوًا كليًا، وتتلخص تلك السمات فيما يلي[2]:

١- القول بالتشبيه والتجسيم الصريحين، والزعم بأن صفات الله مماثلة لصفات المخلوقين وفهم صفاته سبحانه على وجه مشابه لصفات المخلوقين، وهو فهم ناشئ عن قصور في العلم وضعف في التمييز والإدراك، وجهل بما دلت عليه قواطع النصوص من تنزيه الله عن النقائص، وأنه سبحانه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (الشورى: ١١).

٢- رواية الأحاديث الموضوعة والمكذوبة، دون تمييز بين ما صح وما لم يصح منها والتصديق بكل ما يروى أو يذكر في الكتب، وحكايته دون فحص أو تدقيق، أو تأمل لمعاني المرويات وما يمكن أن تشتمل عليه من تعارض أو مصادمة لصحيح المنقول، أو

---

(١) ابن تيمية: الإكليل في المتشابه والتأويل ٨/١ .

(٢) وقد نسب للحشوية الكثير من الآراء منها ما يصح، ومنها ما هو تعصب الخصوم، وقد استخلصنا ما نظن أنه ثابت النسبة إليهم، وانظر بعض تلك الآراء عند الغزالي: الاقتصاد في الاعتقاد ص٧، ٨، وابن رشد: مناهج الأدلة ص١٣٤، والشهرستاني: الملل والنحل ١٠٥/١، ود. التفتازاني: علم الكلام وبعض مشكلاته ص١١٠، ود. حسن الشافعي: الآمدي وآراءه الكلامية ص١١٨، ٢٦٨، ٢٧٠، ٣٢٧، ود. المحمود: موقف ابن تيمية من الأشاعرة ٥٩٥/٢ .

صريح المعقول.

٣- تنحية العقل تمامًا، وإهماله بالكلية، والزعم بأنه لا دور لـه مطلقًـا في مجـال الاستدلال الشرعي والعقدي، أو فهم النصوص وتبين دلالة معانيها.

٤- إيجاب التقليد والالتزام به في أصـول العقائـد، وذم النظـر والتـشكيك في مشروعيته وجوازه إضافة لنفي أي جدوى أو فائدة للنظر أو إعمال العقل في قـضايا الاعتقاد.

٥- تبني بعض الآراء المستبشعة والمستنكرة، والتي تتسم بالـسطحية والـسذاجة أحيانًا، وتنبع عن فهم مغلوط للنصوص، وحملها على مـا لا تـدل عليـه ألفاظهـا وسياقاتها، وعدم التعامل معها وفقًا لمنهجية الاستدلال التي سار عليها علمـاء الأمـة وأئمتها عبر القرون، ودونت في كتب الأصول والمصطلح وغيرها من فنون العلم.

ومن خلال تطبيقنا للضوابط السابقة نستطيع أن نقول – دون تعصب أو تحيـز – إن ظاهرة الحشو قد وجدت بصورة أو بأخرى لدى عدد من المـدارس الكلاميـة أو الشخصيات المنتسبين لفرق مختلفة، دون أن يعني ذلك أن هذه الطائفة بأسرها حشوية، أو أن كل من انتمى إليها لابد أن يكون بالضرورة حشويًا، وأبرز الاتجاهـات الـتي نعنيها ما يلي:

أولاً: حشوية الشيعة

وقد ظهر الحشو بمختلف صوره وأشكاله لدى الشيعة، بل ربما كانوا مـن أسـبق الطوائف والفرق في بروز بعض أنواع الحشو لديهم، وفي ظـني أن طبيعـة المـذهب الشيعي نفسها كان لها أثر كبير في هذا الأمر، حيث اتـسم بعـدد مـن الـسمات والخصائص التي تؤدي بصورة أو بأخرى إلى ظهور الحشو.

ويأتي في مقدمة تلك السمات شيوع الغلو بأنواعه المختلفة[1]، ولاسيما الغلـو في

(١) انظر د. النشار: نشأة الفكر ٢/٦٥ .

الأشخاص وللشيعة كما هو معروف باع طويل في هذا الأمر، بل إن مذهبهم قائم في مجمله على الغلو في آل البيت وعلى رأسهم الأئمة الاثنا عشر.

ومن الأسباب المهمة الأخرى ابتلاء الكثير من أئمة أهل البيت بعدد ضخم من الكذابين الذين جالسوهم وادعوا صحبتهم ومحبتهم، ثم استغلوا ذلك كله في الدس عليهم، ووضع الأحاديث الباطلة ونسبتها إليهم لترويج بين الأتباع.

وقد اشتكى الأئمة أنفسهم من هذا الأمر وأعلنوا براءتهم منه[1]، وقد زاد من خطورته، واتساع دائرة ضرره قلة عناية الشيعة بالتمييز بين المرويات ومعرفة صحيحها من مكذوبها، مما أدى إلى اكتظاظ كتبهم بكم هائل من ركام الأحاديث الموضوعة والمنسوبة إلى رسول الله ﷺ، أو إلى أئمة أهل البيت رضوان الله عليهم أجمعين.

كذلك تعد السرية والكتمان ملمحًا بارزًا في المذهب الشيعي، ونصوص المذهب شاهدة لذلك[2]، ولا شك أنه حينما تشيع السرية في مذهب ما، وتتغلغل الأفكار الباطنية بين أتباعه، فإن من شأن ذلك كله أن يهيئ التربة الخصبة لانتشار الأفكار المنحرفة، وكثرة الدس والكذب ودخول المدعين الذين يريدون ترويج ما لديهم من أفكار باطلة تحت هذا الغطاء المناسب من السرية والكتمان.

والمطالع للمذهب الشيعي يمكنه أن يقف على مظاهر عديدة للحشو، أبرزها ما يلي:

١- القول بالتشبيه والتجسيم

ويعتبر هذا الأمر من أبرز مظاهر الحشو عند الشيعة، حيث ظهر كثير من الشخصيات المنتسبة للمذهب والقائلين بالتشبيه والتجسيم الصريحين، بل تكاد كلمة مؤرخي الفرق تجمع على أن بدء ظهور التشبيه في الإسلام كان من قبل الروافض، ثم

(١) انظر المجلسي: بحار الأنوار ٢/٢٥٠ .

(٢) انظر الكليني: الكافي ١/٤٠٢، والمجلسي: بحار الأنوار ٥٣/١١٦ .

انتقل منهم إلى الفرق الأخرى، وقد أشار لذلك كل من الأشعري، والإسفراييني، وعبد القاهر البغدادي والشهرستاني، والرازي، وابن تيمية، وغيرهم الكثير[١].

ويؤيد هذا الحكم السابق أن أول وأشهر من قال إن الله جسم[٢] – وهو هشام بن الحكم – يندرج ضمن رجال المذهب الشيعي البارزين، وقد نسبت إليه آراء فجة في التشبيه والتجسيم حيث زعم أن الله سبحانه جسم، وله نهاية وحد، وأنه طويل عريض عميق، وأن طوله مثل عرضه وعرضه مثل عمقه لا يوفي بعضه على بعض[٣]، وعلى نفس المنوال نسب لشيعي آخر وهو هشام بن سالم الجواليقي أقوالاً لا تقل بشاعة عما سبق، حيث زعم أن الله تعالى على صورة الإنسان، وأنه ذو حواس خمس كحواس الإنسان له يد ورجل وأنف وأذن، وعين وفم، وأنه يسمع بغير ما يبصر، وأنه نور ساطع يتلألأ بياضًا، وأن نصفه الأعلى مجوف ونصفه الأسفل مصمت[٤].

ويبدو أن علماء الشيعة قد أحسوا بمأزق كبير من جراء آراء هشام بن الحكم – وكذا هشام الجواليقي – المتقدمة لاسيما أن الرجلين معدودان ضمن علماء المذهب البارزين، ومن ثم حاولوا تبرئة المذهب من تلك الوصمة، سالكين في ذلك مسالك

---

(١) انظر الأشعري: مقالات الإسلاميين ٣٥/١، والإسفراييني: التبصير في الدين ص١١٩، وعبد القاهر البغدادي: الفرق بين الفرق ص٢١٤، والشهرستاني: الملل والنحل ١٧٢/١، والرازي: اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص٦٣، وابن تيمية: منهاج السنة النبوية ١٠٣/٢، والكوثري: مقدمة تبيين كذب المفتري ص١١، ود. النشار: نشأة الفكر ١٦٨/٢، ١٧٣ .

(٢) انظر ابن تيمية: مجموع الفتاوى ١٨٦/٣، ومنهاج السنة النبوية ٢٢٠/٢، ود. فيصل عون: علم الكلام ومدارسه ص١٦٥ .

(٣) انظر في الكلام عن آراء هشام بن الحكم: الأشعري: مقالات الإسلاميين ص٣٢، وعبد القاهر: الفرق بين الفرق ص٤٨، والشهرستاني: الملل والنحل ١٧٢/١، والسكسكي: البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان ص٥٧، وابن تيمية: بيان تلبيس الجهمية ٤٠٩/١، ود. النشار: نشأة الفكر ١٧٣/٢، ود. التفتازاني: علم الكلام وبعض مشكلاته ص١٠٦، ود. فيصل عون: علم الكلام ومدارسه ص١٦٥ .

(٤) انظر الأشعري: مقالات الإسلاميين ص٣٤، والإسفراييني: التبصير في الدين ص٣٩، ٤٠، وعبد القاهر: الفرق بين الفرق ص٥١، والشهرستاني: الملل والنحل ١٧٢/١، وابن تيمية: بيان تلبيس الجهمية ٤٠٩/١ .

شتى[١]، فتارة يطعنون في صحة صدور تلك الأقوال عنهما، ويقولون إنها مكذوبة ومفتراة[٢]، وتارة يقولون إنها من قبيل الإلزام، ولم يقولا بها صراحة[٣].

والحق أن كل تلك المحاولات ليست بذات جدوى لسبب في غاية الأهمية وهو ورود روايات في أصح مصادر الشيعة تعترف صراحة بآراء هشام المغرقة في التشبيه، وأن الأئمة قد أعلنوا تبرؤهم القاطع منها[٤]، ومن هذا القبيل ما رواه الكليني أن أحد الشيعة كتب إلى أبي الحسن عليه السلام يسأله عما قال هشام بن الحكم في الجسم، وهشام بن سالم في الصورة فكتب إليه: "دع عنك حيرة الحيران واستعذ بالله من الشيطان، ليس القول ما قال الهشامان"[٥]، كذلك كان الأئمة يتبرءون منهما ومن قولهما، وحينما جاء بعض الشيعة إلى أبي الحسن، قال له: "إني أقول قول هشام" فقال له "ما لكم ولقول هشام؟ إنه ليس منا من زعم أن الله جسم، ونحن منه براء في الدنيا والآخرة"[٦].

ومما تجدر الإشارة إليه هنا أن القول بالتشبيه ليس مقصورًا على الهامشين وحدهما إذ من الواضح – كما أشرنا من قبل – أن المذهب الشيعي بخصائصه وسماته كان بمثابة تربة خصبة لكثير من ذوي الآراء المنحرفة والمغرقة في الغلو وتشبيه الله بخلقه، وقد حفلت كتب الفرق بعدد كبير من هذه الشخصيات التي نسبت إليهم اتجاهات

(١) وثمة محاولة حثيثة من هذا القبيل لتبرئة هشام عند بعض كتابهم المعاصرين، فانظر على سبيل المثال كتاب عبد الله نعمة: هشام بن الحكم رائد الحركة الكلامية في الإسلام، دار الفكر اللبناني ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، وبحث قوله "جسم لا كالأجسام" بين موقف هشام بن الحكم ومواقف سائر أهل الكلام لمحمد رضا الحسيني، مجلة تراثنا العدد الثاني، السنة الخامسة، ربيع الثاني ١٤١٠هـ.

(٢) انظر الخوئي: معجم رجال الحديث ٣٢١/٢٠ .

(٣) انظر المجلسي: بحار الأنوار ٢٨٨/٣ .

(٤) انظر د. القفاري: أصول مذهب الشيعة ٥٣٢/١ .

(٥) الكليني: الكافي ١٠٥/١، والصدوق: التوحيد ص٩٧، والمجلسي: بحار الأنوار ٢٨٨/٣ .

(٦) الصدوق: التوحيد ص١٠٤، والأمالي ص٣٥١، والمجلسي: بحار الأنوار ٢٩١/٣ .

بأكملها، وممن نبه على هذا المعنى ابن تيمية حيث قال: "التشبيه والتجسيم المخالف للعقل والنقل لا يعرف في أحد من طوائف الأمة أكثر منه في طوائف الشيعة، وهذه كتب المقالات كلها تخبر عن أئمة الشيعة المتقدمين من المقالات المخالفة للعقل والنقل في التشبيه والتجسيم بما لا يعرف نظيره عن أحد من سائر الطوائف"[(١)].

ومن هؤلاء الغلاة داود الجواربي وكان يقول في التشبيه قولاً عظيمًا حيث نسب إليه أنه قال أعفوني عن الفرج واللحية واسألوني عما وراء ذلك، وذهب إلى أن معبوده جسم ولحم ودم وله جوارح وأعضاء من يد ورجل ولسان ورأس وعينين[(٢)]، وهناك أيضًا عدد من فرق الغلاة الذين قالوا بمقالات مباينة تمامًا لدين الإسلام حتى إن بعض المصنفين في الفرق ذهب إلى أنهم لا يعدون في زمرة المسلمين، ولا يندرجون في جملة الفرق الثنتين والسبعين لشناعة ما ذهبوا إليه من آراء[(٣)]، ومن بين هذه الفرق[(٤)] البيانية أتباع بيان بن سمعان، والمغيرية أتباع مغيرة بن سعيد العجلي، والمنصورية وهم أتباع أبي منصور العجلي، والخطابية أتباع أبي الخطاب الأسدي.

وثمة فرق أخرى كثيرة على هذه الشاكلة لا يتسع المجال للاسترسال في الكلام عنها، وما افتروه من مقالات مباينة تمامًا لكل دين وعقل، وإنما سقنا الكلام عنها لنثبت ما قررناه آنفًا من أن البيئة الشيعية كان بيئة خصبة لظهور مثل هذه الأقوال المنحرفة والمغالية والتي لا يتردد المرء في وصفها بأنها أردأ أنواع الحشو وأفسده.

وثمة ملاحظة مهمة يجدر بنا ذكرها هنا، وهي أن هناك الكثير من علماء الشيعة

---

(١) ابن تيمية: منهاج السنة النبوية ٢/١٠٣ .

(٢) انظر الأشعري: مقالات الإسلاميين ص١٥٣، والإسفراييني: التبصير في الدين ص١٢٠، والشهرستاني: الملل والنحل ١/١٨٦، وابن تيمية: بيان تلبيس الجهمية ١/٤١٢، والذهبي: سير أعلام النبلاء ١٠/٥٤٤ .

(٣) انظر الإسفراييني: التبصير في الدين ص١٢٣ .

(٤) انظر في الكلام عن هذا الفرق تفصيلاً الإسفراييني: التبصير في الدين ص١١٩، ١٢٣، والشهرستاني: الملل والنحل ١/١٧٥- ١٨٠، والنوبختي: فرق الشيعة ص٤٩، ٥٠، والرازي: اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص٥٨، ٥٩، ود. النشار: نشأة الفكر ٢/٨٧، ٢٣١، ود. جابر إدريس: مقالة التشبيه ١/٢٣٥ .

ينفون نسبة تلك الفرق والأشخاص للتشيع الحقيقي، ويعدونهم من الغلاة[1]، كما أن المذهب الشيعي قد أصابه تطور كبير في موقفه من باب الأسماء والصفات بفعل التأثير الاعتزالي، فمال من القول بالتشبيه الفج إلى القول بتأويل الصفات وتعطيلها، وصار مطابقًا لرأي المعتزلة في هذه المسألة[2].

لكن مع إقرارنا بذلك كله فيبقى أن هذا التطور الفكري والتأثر الشيعي بالمعتزلة لم يكن مانعًا دون استمرار لون آخر من التشبيه شاع وانتشر في كتب الاثنى عشرية وهو إيراد روايات ظاهرة البطلان ومليئة بالتشبيه الفج ووصف الله بصفات البشر، ومن أمثلة ذلك نسبة المخاصرة إلى الله تعالى، حيث رووا عن جعفر الصادق قوله "إن الله ليخاصر العبد المؤمن يوم القيمة، والمؤمن يخاصر ربه يذكره ذنوبه، قلت وما يخاصر؟ قال فوضع يده على خاصرتي فقال: هكذا كما يناجي الرجل منا أخاه في الأمر يسره إليه"[3].

كذلك نسوا لله النزول على جمل في عرفة، فعن جعفر الصادق أنه قال: "إن الله ينزل في يوم عرفة في أول الزوال إلى الأرض على جمل أفرق يصال بفخذيه أهل عرفات يمينًا وشمالاً، ولا يزال كذلك حتى إذا كان عند المغرب ونفر الناس وكل الله ملكين بجبال المازمين يناديان عند المضيق الذي رأيت يا رب سلم سلم، والرب يصعد إلى السماء ويقول جل جلاله آمين يا رب العالمين، فلذلك لا تكاد ترى صريعًا ولا كسيرًا"[4] ومن روايات التجسيم الفجة عند الشيعة ما رووه عن جعفر الصادق أن

---

(١) وقد أدرجهم النوبختي في كتابه فرق الشيعة ص٥٠ ضمن الغلاة.

(٢) انظر الأشعري: مقالات الإسلاميين ١/٣٥، وابن تيمية: منهاج السنة النبوية ٢/٢٤٢، والكوثري: مقدمة تحقيق تبيين كذب المفتري ص١١، ود. النشار: نشأة الفكر ٢/٢٢٠، ود. السنهوتي: دراسات نقدية ص٧١، ود. حسن الشافعي: المدخل لدراسة علم الكلام ص١٠٦- ١٠٨، ود. القفاري: أصول مذهب الشيعة ١/٥٣٥، ود. عبد اللطيف حفظي: تأثير المعتزلة في الخوارج والشيعة ص٤٨٣- ٤٨٦ .

(٣) الأصول الستة عشر ص٥٤ .

(٤) الأصول الستة عشر ص٥٤ .

المهدي إذا قام يأتي كربلاء فلا يبقى أحد سماوي ولا أرضي من المؤمنين إلا حفوا بالحسين عليه السلام حتى أن الله تعالى يزور الحسين ويصافحه ويقعد معه على سرير"[١].

وإذا كانت الروايات السابقة تتضمن تشبيهًا صريحًا للخالق سبحانه بالمخلوق فثمة نوع آخر من الروايات يتضمن تشبيه المخلوق – وهم الأئمة – بالخالق جل وعلا، حتى بلغ بهم الأمر إلى الزعم بأن الأئمة هم أسماء الله الحسنى[٢]، وقد ذكر المجلسي ستًا وثلاثين رواية تقول إن الأئمة هم وجه الله ويد الله[٣].

٢- الروايات الموضوعة

وقد أشرنا من قبل إلى ضعف الشيعة الشديد وتقصيرهم البالغ في مجال علم المصطلح وقواعد التمييز بين المرويات، وتعديل الرواة وتجريحهم، مما أفسح المجال لانتشار الروايات المكذوبة، وكثرة الرواة المعروفين بالوضع وهم بالعشرات[٤].

ولعل اشتهار الشيعة بهذا الأمر هو الذي دفع الكثير من أئمة المحدثين وأهل السنة لوصفهم بأنهم أكذب الطوائف أو أكذب خلق الله[٥]، وأما عدد ما وضعه الشيعة من أحاديث فهو عدد مهول جدًا وبالغ الضخامة، وأكثر من أن يعد، حتى أوصله إلى مئات الآلاف[٦].

وليس الاتهام السابق مقصورًا على خصوم المذهب وحدهم، بل إن هناك العديد من النصوص التي يعترف ليها نفر من علماء المذهب بالأمر السابق، ويقرون بتفشي ظاهرة الوضع عند الشيعة، بل إن هناك من جعلهم أول من سبق لتلك الظاهرة الشنيعة.

---

(١) الطبري الشيعي، دلائل الإمامة ص١٨٩، وهاشم البحراني: مدينة المعاجز ٤٦٥/٣ .

(٢) انظر د. القفاري: أصول مذهب الشيعة ٥٥٦/١ .

(٣) المصدر السابق: ١٩١/٢٤- ٢٠٣ .

(٤) انظر د. خالد كبير علال: مدرسة الكذابين في رواية التاريخ ص٦١ .

(٥) انظر ابن القيم: المنار المنيف ص٥٢، والذهبي: ميزان الاعتدال ٢٧/١، ٢٨، وعمر فلاتة: الوضع في الحديث ٢٤٥/١ .

(٦) ابن القيم: المنار المنيف ص١١٦ .

ويبدو أن هذا الإحساس بالتفاوت الشديد بين تميز أهل السنة في مجال الرواية وضبطها وبين ضعف الشيعة الشديد في هذا الباب قد ظهر في فترة مبكرة حيث ذهب بعض الشيعة لجعفر الصادق فقال له: "هؤلاء – أي أهل السنة – يأتون الحديث مستويًا كما يسمعونه، وإنا ربما قدمنا وأخرنا، وزدنا ونقصنا"[1]، كذلك نلاحظ أن نصوص الأئمة قد تتابعت – كما تروي كتب الشيعة نفسها – في الشكاية من كثرة الكذابين عليهم[2]، فمن جعفر الصادق أنه قال: "إنا أهل بيت صديقون، لا نخلو من كذاب يكذب علينا، ويسقط صدقنا بكذبه علينا عند الناس"[3].

وإذا نحينا جانبًا تلك الاعترافات الواضحة وانتقلنا إلى جانب الأمثلة التطبيقية فأظن أن المقام يضيق بنا كثيرًا إذا حاولنا أن نتتبع الأحاديث الموضوعة والمكذوبة في كتب الشيعة، ولذا فسوف نقتصر على إيراد عدد من الأمثلة القليلة، والتي تجمع ما بين سقوط السند وضعفه الشديد، وتهافت المتن وبطلانه، واشتماله على ما يتنافى مع الشرع والعقل معًا.

ومن هذا القبيل ما روي عن النبي ﷺ أنه سئل بأي لغة خاطبك ربك ليلة المعراج؟ فقال: خاطبني بلغة علي بن أبي طالب عليه السلام، وألهمني أن قلت: يا رب أخاطبتني أنت أم علي؟ فقال يا أحمد! شيء ليس كالأشياء، ولا أقاس بالناس، ولا أوصف بالأشياء، خلقتك من نوري، وخلقت عليًا من نورك، فاطلعت على سرائر قلبك، فلم أجد على قلبك أحب من علي بن أبي طالب عليه السلام، فخاطبتك بلسانه، كيما يطمئن قلبك"[4].

كذلك نسبوا للرسول ﷺ أنه قال: "لما خلق الله تعالى آدم، ونفخ فيه من روحه،

(١) المجلسي: بحار الأنوار ١٦٣/٢، والعاملي: وسائل الشيعة ١٠٥/٢٧ .

(٢) انظر د. القفاري: أصول مذهب الشيعة ٣٦٢/١ .

(٣) الطوسي: اختيار معرفة الرجال ٣٢٤/١، والمجلسي: بحار الأنوار ٢٨٧/٢٥، والخوئي: معجم رجال الحديث ٢٠٦/١١ .

(٤) المجلسي: بحار الأنوار ٣٨٦/١٨، ٣٨٧، ٣١٢/٣٨، ٣١/١٠٧، والشاهرودي: مستدرك سفينة البحار ٤١٢/٤ .

عطس آدم فقال: الحمد لله، فأوحي الله تعالى إليه: حمدتني عبدي، وعزتي وجلالي، لولا عبدان أريد أن أخلقهما في دار الدنيا ما خلقتك قال: إلهي فيكونان مني؟ قال: نعم يا آدم ارفع رأسك وانظر، فرفع رأسه، فإذا هو مكتوب على العرش: لا إله إلا الله، محمد نبي الرحمة، على مقيم الحجة، ومن عرف حق علي زكا وطاب، ومن أنكر حقه لعن وخاب، أقسمت بعزتي أن أدخل الجنة من أطاعه، وإن عصاني، وأقسمت بعزتي أن أدخل النار من عصاه وإن أطاعني"[١].

ولا شك أن هذا الحديث الموضوع يتضمن معنى في غاية البطلان حيث يزعم أن من أطاع عليًا ﷺ دخل الجنة وإن عصى الله، وأن من عصاه دخل الجنة وإن أطاع الله، ويبدو أن واضع الحديث لم ينتبه إلى أنه ينتقص عليًا ﷺ دون أن يدري لأنه يتصور إمكان أن يأمر ﷺ أحدًا بمعصية الله، أو ينهاه عن طاعة الله.

ولا يقتصر الوضع عند الشيعة على مجال العقائد وحده بل يمتد أيضًا إلى مجال الأحكام العملية ومن ذلك مثلاً مسألة زواج المتعة والتي حاولوا ترغيب أتباعهم فيها فوضعوا أحاديث عديدة في فضلها تتضمن مبالغات لا يقبلها نقل أو عقل[٢]، ومن نماذج غلو الشيعة الشديد في فضل زيارة قبر الحسين في كربلاء زعمهم أن "من زار الحسين كمن زار الله في عرشه"[٣] كما زعموا أن ما يناله الزائر من الفضل والثواب يعدل الحج والعمرة والغزو بعشرات المرات[٤].

ولست أدري كيف يمكن لأحد أن يستسيغ تلك المبالغة الممجوجة على مثل هذه الزيارة التي تفوق فريضة الحج والجهاد، ثم إن من المستغرب حقًا أن الشيعة لا يرتبون

---

(١) المجلسي: بحار الأنوار ١٠/٢٧، وهاشم البحراني: مدينة المعاجز ٣٦٩/٢ .

(٢) انظر المفيد: رسالة المتعة ص٩، والحر العاملي: وسائل الشيعة ١٦/٢١، والمجلسي: بحار الأنوار ٣٠٧/١٠٠ .

(٣) الصدوق: الأمالي ص١٨٢، والطوسي: تهذيب الأحكام ٥١/٦، والمجلسي: بحار الأنوار ١١٩/٩٧ .

(٤) انظر جعفر بن محمد بن قولويه: كامل الزيارات ص٣١٦، والصدوق: الأمالي ص٢٠٧، ومن لا يحضره الفقيه ٥٨٠/٢، والحر العاملي: وسائل الشيعة ٤٩٥/١٤، والمجلسي: بحار الأنوار ٨٥/٩٨، وانظر أيضًا الخوميني: كشف الأسرار ص٨٤ .

مثل هذا الفضل العظيم على زيارة قبر المصطفى ﷺ، وزيارة قبر علي ﷺ مع أنه لا يشك أحد في أنهما أفضل من الحسين ﷺ.

٢- المعتقدات الخرافية

وقد اشتمل التشيع على كثير من المعتقدات الخرافية، المخالفة للنقل والعقل معًا، والتي حاول القوم أن يعضدوها بروايات منسوبة للرسول ﷺ أو لأئمة أهل البيت كي يستسيغ الأتباع قبولها، رغم كل ما تشتمل عليه من خرافة، وتناقض صريح مع دين الله ومقررات الفطرة السليمة والعقل السديد.

وثمة أمثلة كثيرة لما يعتقده عوام الشيعة من خرافات وحماقات، وقد عرض ابن تيمية للكثير منها ونقده نقدًا قويًا[١]، ولكننا سنعرض عنها نظرًا لأن آراء العوام ليست حجة على أي مذهب، وإنما العبرة بما هو مدون في مصادر المذهب وكتب علمائه المعتبرين.

ومن نماذج هذا النوع الثاني اعتقادهم في مكانة الأئمة، وغلوهم الشديد في سائر ما يتعلق بهم من صفات، حتى إنهم أخرجوهم من طور البشرية إلى طور آخر، ففي الكافي أن عليًا ﷺ كان يقول: "أنا قسيم الله بين الجنة والنار، وأنا الفاروق الأكبر، وأنا صاحب العصا والميسم، ولقد أقرت لي جميع الملائكة والروح والرسل بمثل ما أقروا به لمحمد ﷺ، ولقد أعطيت خصالاً ما سبقني إليها أحد قبلي، علمت المنايا والبلايا، والأنساب، وفصل الخطاب، فلم يفتني ما سبقني، ولم يعزب عني ما غاب عني"[٢]، كذلك نسبوا لعلي ﷺ أنه قال: "إن رسول الله ﷺ علمني ألف باب من الحلال والحرام، ومما كان ومما يكون إلى يوم القيامة، كل باب منها يفتح ألف باب، فذلك ألف ألف باب، حتى علمت المنايا والبلايا، وفصل الخطاب"[٣].

ولا يقتصر هذا الغلو الشديد على علي ﷺ وحده بل يمتد لبقية الأئمة، ومن نماذج

---

(١) انظر ابن تيمية: منهاج السنة ١/٣٧ .

(٢) الكليني: الكافي ١/١٩٦، ١٩٧، والصدوق: بصائر الدرجات ١/١٦٤، والطوسي: الأمالي ص٢٠٦ .

(٣) الكليني: الكافي ١/٢٩٧، والصدوق: الخصال ص٦٤٣ .

ذلك ما رووه عن الحسن بن علي قال: "إن لله مدينتين: إحداهما بالمشرق، والأخرى بالمغرب عليهما سوران من حديد، وعلى كل مدينة ألف ألف مصراع من ذهب، وفيها سبعون ألف ألف لغة، يتكلم كل لغة بخلاف لغة صاحبه، وأنا أعرف جميع اللغات وما فيها وما بينهما، وما عليهما حجة غيري والحسين أخي"[١].

كذلك يعتقد الشيعة أن لتربة قبر الحسين مكانة خاصة، وأنها الكفيلة بشفاء الأدواء والأسقام بشتى أنواعها وأشكالها، وقد ذكر المجلسي صاحب البحار ما يصل إلى ثلاث وثمانين رواية عن تربة الحسين وفضلها وآدابها وأحكامها[٢]، وقد جعلت هذه الروايات من تلك التربة البلسم الشافي من كل داء، والحصن الحصين من كل خوف، يشرب منها المريض فيتحول إلى صحيح، كأن لم يكن به بأس، ويحنّك بها الطفل فتكون أمانًا له، وحرزًا من الأخطار، وتوضع مع الميت في قبره لتقيه من العذاب، ويمسك بها الرجل يعبث بها ساهيًا يقلبها فيكتب له أجر المسبّحين، لأنها تسبّح بيد الرجل من غير أن يسبّح[٣].

وإلى جانب المعتقدات السابقة فهناك كم هائل من الروايات الواردة في أصح كتب الشيعة والتي لا يشك أحد في عدها ضمن الخرافات والقصص الكاذبة، ولست أدري حقًا ماذا يقول الشيعة عما ورد في أوثق الكتب عندهم وهو الكافي عن علي ﷺ أنه قال عن عفير حمار الرسول ﷺ "إن ذلك الحمار كلم رسول الله ﷺ فقال: بأبي أنت وأمي: إن أبي حدثني، عن أبيه، عن جده، عن أبيه أنه كان مع نوح في السفينة فقام إليه نوح فمسح على كفله، ثم قال: يخرج من صلب هذا الحمار حمار يركبه سيد النبيين وخاتمهم، فالحمد لله الذي جعلني ذلك الحمار"[٤].

---

(١) الصفار: بصائر الأنوار ص٣٥٩، والمجلسي: بحار الأنوار ٤١/٢٧ .

(٢) انظر المجلسي: بحار الأنوار ١٣٦/٩٨ .

(٣) انظر د. القفاري: أصول مذهب الشيعة الإمامية ٤٨٩/٢- ٤٩٣ .

(٤) الكليني: الكافي ٢٣٧/١، والصدوق: علل الشرائع ١٦٧/١، والمجلسي: بحار الأنوار ٤٠٥/١٧، والنوري: مستدرك الوسائل ٢٦٩/٨ .

وإذا كان التصوف قد شهد ما يعرف بالشطحات والتي صدرت عن بعض أئمة القوم وتضمنت عبارات خطيرة ومتجاوزة لكل حد، فإننا نلحظ أيضًا أن لدى بعض الشيعة شطحات وغلوًا شديدًا غير مقبول ولا مستساغ في مكانة الأئمة ومنزلتهم، وإن كان ثمة فارق بين هذين النوعين من الشطحات، حيث تتعلق شطحات المتصوف بذاته وإحساسه الداخلي وتصوره أنه اتحد بالله فقال: سبحاني ما أعظم شأني، أو ما في الجبة إلا الله، وما أشبه ذلك.

أما الشيعي فإن جل شطحاته تدور حول الغلو في الأئمة وإسباغ الصفات الخارقة للعادة عليهم، ومن تلك الشطحات الخطيرة والتي تتجاوز بعلي ﷺ مرتبة البشر إلى ما وراء ذلك ما نسبوه إليه أنه قال عن نفسه في نص مطول: "أنا الحاشر إلى الله، وأنا كلمة الله التي يجمع بها المفترق ويفرق بها المجتمع. وأنا أسماء الله الحسنى، وأمثاله العليا، وآياته الكبرى، وأنا صاحب الجنة والنار، أسكن أهل الجنة الجنة، وأسكن أهل النار النار، وإلي تزويج أهل الجنة وإلي عذاب أهل النار، وإلي إياب الخلق جميعًا"[1].

وأظن أننا لسنا في حاجة لبيان الخلل العقدي الخطير في هذا الكلام ويكفي للرد عليه أن نسوق قول الله تعالى آمرًا نبيه ﷺ أن يقول: ﴿قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلاَ ضَرّاً إِلاَّ مَا شَاء اللّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَاْ إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (الأعراف: ١٨٨)، وإذا كان هذا هو حال سيد ولد آدم ﷺ فكيف يكون حال من دونه مهما عظم قدره، وعلت منزلته ومكانته؟

ثانيًا: حشوية الكرامية

ويعتبر الكرامية أشهر من أدرجوا في عداد الحشوية، وذلك لما عرف عنهم من القول بالتجسيم والتشبيه، والغلو في إثبات صفات الله تعالى على وجه مماثل لصفات البشر، ومخالف للنظرة الإسلامية التي تنزه الباري تعالى عن ذلك، وتقطع بأنه

(١) المجلسي: بحار الأنوار ٥٣/٤٧- ٤٩ .

سبحانه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (الشورى: ١١)، ومن أبرز جوانب الحشو لدى الكرامية آراؤهم في باب الصفات، حيث أسرفوا في الإثبات وتبنوا مجموعة من الأقوال الصريحة أو شبه الصريحة في دلالتها على التشبيه والتجسيم، ومن ذلك ما يلي:

أ- قولهم صراحة بأن الله سبحانه وتعالى جسم، وقد عزا إليهم تلك المقالة الكثير من المصنفين في الفرق، وعدوهم بسببها ضمن المشبهة والمجسمة[١]، كما نقل عن ابن كرام وصف الله بأنه جوهر[٢]، وحكي ابن تيمية أن الكرامية متفقون على أن الله سبحانه جسم، وإن كانوا مختلفين في المراد بالجسم، وهل يقصد به الموجود القائم بنفسه أو يراد به أنه مركب[٣].

ب- الغلو والمبالغة في إثبات عدد من الصفات ومنها صفة الاستواء، حيث ذهبوا إلى أن الله تعالى مماس للعرش من الصفحة العليا، وجوزوا عليه الانتقال والتحول والنزول، ومنهم من قال: إنه على بعض أجزاء العرش، وقال بعضهم: امتلأ العرش به، وصار المتأخرون منهم إلى أنه تعالى بجهة فوق وأنه محاذ للعرش، ثم اختلفوا في كيفية ذلك على أقوال كثيرة[٤].

ولا أظن أننا بحاجة للاسترسال في بيان فساد تلك الآراء السابقة وإثبات مخالفتها

---

(١) انظر الجويني: الشامل ص٢٨٨، وابن عساكر: تبيين كذب المفتري ص٣٦٦، وعبد القاهر البغدادي: الفرق بين الفرق ص٢٠٣، والإسفراييني: التبصير في الدين ص١١١، والشهرستاني: نهاية الأقدام ص٦٣، والملل والنحل ١٠٨/١، والمقدسي: البدء والتاريخ ١٤١/٥، وابن حزم: الفصل، والخوارزمي: مفاتيح العلوم ص٢٠، والآمدي: غاية المرام ص١٨٠، ود. النشار: نشأة الفكر ٢٩٨/١، ود. سهير مختار: التجسيم عند المسلمين ص١٨٧، ود. فيصل عون: علم الكلام ومدارسه ص١٦٣، ود. السنهوني: دراسات نقدية ص٢٩٨ .

(٢) انظر عبد القاهر البغدادي: الفرق بين الفرق ص٢٠٣، والشهرستاني: الملل والنحل ١٠٨/١، ود. النشار: نشأة الفكر ٢٩٩/١ .

(٣) انظر ابن تيمية: مجموع الفتاوى ٤٢٨/٥ .

(٤) انظر البغدادي: الفرق بين الفرق ص٢٠٣، والشهرستاني: الملل والنحل ١٠٧/١، والرازي: اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص٦٧، ود. محمد بن خليفة التميمي: مواقف الطوائف من توحيد الأسماء والصفات ص١٣٣، ود. سهير مختار: التجسيم عند المسلمين ص٢٠٣ .

التامة لحقائق الإسلام وقطعيات النصوص القرآنية الدالة على تنـــزيه الله سـبحانه، وليس بمستبعد أن يكون الكرامية قد تلقوها من مصادر فلسفية خارجية، سواء أكانت الثنوية أو الفلسفة الرواقية كما ذهب إلى ذلك الكثير من المتقدمين والمتأخرين[1].

ولعل من المهم أن نشير إلى ظهور بعض الشخصيات المنتمية لمذهب الكرامية والتي حاولت أن تحسن صورة المذهب، وأن تزيل ما علق به من وصمة التشبيه من خـلال تقديم تفسيرات جديدة لآراء المذهب المصرحة بالتجسيم، ومن أبرز هذه الشخصيات محمد بن الهيصم والذي اجتهد – كما يقول الشهرستاني – في إرمام مقالة ابن كـرام في كل مسألة حتى ردها من المحال الفاحش إلى نوع يفهم فيما بـين العقـلاء، مثـل التجسيم، فإنه قال: أراد بالجسم: القائم بالذات، ومثل الفوقية فإنه حملها على العلـو، ومثل الاستواء فإنه نفى المجاورة والمماسة والتمكن بالذات[2]، و لم يكتف ابن الهيـصم بهذا الخريج الجزئي للمسائل المستنكرة في المذهب، بل حاول أن يؤسس أصلاً عامًا في هذا الباب ينفي فيه أي وجه للماثلة بين قول الكرامية من جهة وقول المشبهة من جهة أخرى[3].

وربما كانت آراء ابن الهيصم هذه هي التي دفعت البعض لعـدم إدراج الكراميـة ضمن المشبهة الخلص المساوين بين صفات الله وصفات البـشر، واعتبـارهم مثبتـة للصفات تجاوزوا حد الوسطية ووقعوا في شيء من الغلو[4].

لكن ذلك – في رأيي – لا ينبغي أن يمنعنا من توجيه النقد الواضح لآراء الكرامية

---

(١) انظر عبد القاهر البغدادي: الفرق بين الفرق ص٢٠٣، والإسفراييني: التبصير في الدين ص١١١، ود. النشار: نشأة الفكر ٢٩٩/١، ٣٠٠، ود. السنهوتي: دراسات نقدية ص٢٩٨ .

(٢) انظر الشهرستاني: نهاية الأقدام ص٦٤، والملل والنحل ١١٠/١، وابن تيمية: بيان تلبيس الجهمية ٤٦/١ .

(٣) الشهرستاني: الملل والنحل ١١٠/١، وانظر أيضًا د. النشار: نشأة الفكر ٣٠٥/١ .

(٤) انظر د. محمد خليل هراس: ابن تيمية السلفي ص١٠٣، ود. محمد بن خليفة التميمي: مواقف الطوائف من توحيد الأسماء والصفات ص١٣٢، ود. جابر إدريس: مقالة التشبيه ٣٠٢/١، وعبد الرحمن بن عايد القصير: القدر المشترك في معاني الصفات ص١٧٨- ١٨٠ .

السابقة وما وقعوا فيه من غلو وإسراف في الإثبات، ويكفي أن وصفهم بأن الله جسم وتصورهم الفاسد لصفة الاستواء أمر مرفوض مهما قدموا من مبررات، وما أغنانا عن هذا الخلل والخطأ كله بالوقوف عند منهجية القرآن التي تجمع في توازن بديع بين الإثبات والتنزيه فالله سبحانه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (الشورى: ١١).

وإذا تجاوزنا هذا الجانب الأبرز من جوانب الحشو عند الكرامية – وهو القول بالتشبيه والتجسيم – فإن هناك جوانب أخرى من جوانب الحشو قد ظهرت لديهم بوضوح، وتمثلت في رواية الأحاديث الموضوعة والمكذوبة، وتبني بعض الآراء الشاذة والمنحرفة.

أما رواية الموضوعات فقد تتابعت نصوص علماء الجرح والتعديل من المحدثين في تضعيف ابن كرام من حيث الرواية، وحكموا عليه بأنه ساقط الحديث ويروي الواهيات، كما أنه أكثر من الرواية عن رجلين من أسوأ الوضاعين، وهما الجوباري وابن تميم، وقد قيل إنهما وضعا مئة ألف حديث[1]، وقد نبه ابن حبان إلى أن المحدثين ما تركوا الرواية عن ابن كرام وأصحابه لقولهم بالإرجاء فقط، وإنما كان السبب في تركهم أنهم كانوا يضعون الحديث على رسول الله ﷺ[2].

وربما كان الأخطر من رواية ابن كرام وأصحابه للموضوعات ما نسب إليهم من القول بجواز وضع الأحاديث على الرسول وأصحابه وغيرهم، لاسيما في الترغيب والترهيب والزجر عن المعصية، محتجين في ذلك – مع كونه خلاف إجماع من يعتد به من المسلمين – بأن الكذب في الترغيب والترهيب هو للشارع لكونه مقويًا لشريعته لا

(١) ابن عساكر: تاريخ دمشق ١٢٧/٥٥، وابن الجوزي: الضعفاء والمتروكين ٩٥/٣، والمنتظم ٩٧/١٢، والذهبي: سير أعلام النبلاء ٥٢٣/١١، ولسان الميزان ٣١٤/٦، والمغني في الضعفاء ٦٢٧/٢، وابن حجر: لسان الميزان ٣٥٣/٥ .

(٢) ابن حبان: المجروحين ٣٠٦/٢، وابن عدي: الكامل ١٧٧/١، والسمعاني: الأنساب ٣٧٧/٤ .

عليه، والكذب عليه إنما هو كان يقال إنه ساحر أو مجنون، أو نحو ذلك مما يقصد شينه به وعيب دينه[1].

ولا يخفى تهافت هذا الكلام فالكذب كله كذب، وصاحبه داخل تحت الوعيد الوارد في حديث "من كذب علي متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار"[2]، وقد أرسل ابن كرام إلى إمام الحديث الأشهر البخاري يسأله عن أحاديث، منها حديث أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص، فكتب البخاري على ظهر كتابه: من حدث بهذا استوجب الضرب الشديد والحبس الطويل[3].

ومن الأحاديث الظاهرة الوضع والكذب والتي اختلقها نفر من الكرامية نصرة لمذهبهم ما نسبوه للنبي ﷺ أنه قال: "يجيء في آخر الزمان رجل يقال له محمد بن كرام يحيي السنة والجماعة، هجرته من خراسان إلى بيت المقدس كهجرتي من مكة إلى المدينة"[4]، والمتهم بوضع هذا الحديث رجل من الكرامية اسمه إسحاق بن محمشاذ، وكان كذابًا يضع الحديث على مذهب الكرامية، وله كتاب مصنف في فضائل محمد بن كرام، كله كذب موضوع[5].

كذلك وضع بعض الكرامية أحاديث مكذوبة نصرة لرأيهم في بعض المسائل الكلامية ومنها مسألة الإيمان وهل يزيد وينقص أم لا، ولما كانوا من المرجئة القائلين بعدم الزيادة والنقصان فقد وضعوا حديثًا نصه "الإيمان لا يزيد ولا ينقص"[6].

---

(١) انظر ابن الجوزي: الموضوعات ٥٧/١، وابن الصلاح: مقدمة ابن الصلاح ص١٠٠، والنووي: شرح صحيح مسلم ٥٦/١، وابن كثير: البداية والنهاية ٢٠/١١، وابن حجر: النكت على ابن الصلاح ٨٥٤/٢، والسخاوي: فتح المغيث ٢٦٢/١، والسيوطي: تدريب الراوي ٢٨٤/١ .

(٢) رواه البخاري (١٠٧) ومسلم (٤).

(٣) الذهبي: لسان الميزان ٣١٤/٦، ابن حجر: لسان الميزان ٣٥٤/٥ .

(٤) ابن الجوزي: الموضوعات ٣٥٦/١، والذهبي: المغني في الضعفاء ٧٤/١، وميزان الاعتدال ٣٥٣/١، وابن حجر: لسان الميزان ١٩٣/١، وسبط ابن العجمي: الكشف الحثيث ص٦٦ .

(٥) ابن الجوزي: الموضوعات ٣٥٦/١، والذهبي: المغني في الضعفاء ٧٤/١ .

(٦) السيوطي: اللآلئ المصنوعة ٤٢/١ .

وأما الآراء الشاذة والمنحرفة لدى الكرامية فمنها: نفي عصمة الأنبياء، وتجويز وقوع الكبائر منهم حاشا الكذب[١]، وقد ذهب بعض الكرامية إلى أن كل ذنب أسقط العدالة أو أوجب حدًا فهم معصومون منه، لكنهم غير معصومين مما دون ذلك، وقال بعضهم: لا يجوز الخطأ عليهم في التبليغ وأجاز ذلك بعضهم، وزعم أن النبي ﷺ أخطأ في التبليغ وذكروا قصة الغرانيق[٢].

وأقول إنه لا يخفي بطلان هذا القول، وما يلزم عن التشكيك في عصمة الأنبياء عن كبائر الذنوب والخطأ في تبليغ الدعوة من زعزعة للثقة في صدقهم وأمانتهم، وتبليغهم رسالة الله للبشر على الوجه الأكمل، والمطابق تمامًا لما أنزله الله عليهم، وأما قصة الغرانيق المزعومة التي أشاروا إليها فيقصدون بها ما روي عن سعيد بن جُبير، أنه قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللاتَ وَالْعُزَّى﴾ (النجم: ١٩)، قرأها رسول الله ﷺ، فقال: تلك الغرانيق العلى، وإن شفاعتهن لترتجى، فسجد رسول الله ﷺ، فقال المشركون: أنه لم يذكر آلهتكم قبل اليوم بخير، فسجد المشركون معه، فأنزل الله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلا نَبِيٍّ إِلا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾ .. إلى قوله: ﴿عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾ (الحج: ٥٢- ٥٥)"[٣].

وقد أثبت علماء الحديث بالأدلة القاطعة وضع تلك الرواية وعدم صحتها، وبينوا أنها قصة سقيمة السند ومتهافتة المتن، ومخالفة لسياق الآيات وتفسيرها، وقد ذكر ابن خزيمة أنها من وضع الزنادقة[٤]، وممن نص على بطلانها أيضًا كل من ابن العربي، والقاضي عياض، والقرطبي، والعيني، والكرماني، والشوكاني، والآلوسي، والألباني،

(١) انظر ابن حزم: الفصل ٢/٤، والإحكام ١٢٢/١، والذهبي: سير أعلام النبلاء ٥٢٤/١١، وتاريخ الإسلام ٣١٥/١٩ .

(٢) انظر عبد القاهر البغدادي: الفرق بين الفرق ص٢١٠ .

(٣) الطبري: جامع البيان ٦٦٦/١٨ .

(٤) انظر الرازي: التفسير الكبير ٤٤/٢٣ .

وغيرهم[1].

لكن تبقى ملاحظة جديرة بالنظر هنا، وهي أن الكرامية وإن كانوا حشوية في عدد من أبواب الاعتقاد وأصول الدين كباب الصفات مثلاً، فإنهم تبنوا آراء عقدية في أبواب أخرى لا تمت للحشو بصلة، بل إنها تشتمل على تأويل للنصوص، وصرف لها عن ظواهرها، كما يبدو فيها تأثرهم الواضح بمن سبقهم من الفرق الكلامية.

ومن الأمثلة على ذلك مذهبهم في مفهوم الإيمان، حيث أطبقت كتب الفرق على نسبة القول بأشد درجات الإرجاء غلوًا إليهم، وهي القول بأن المراد بالإيمان هو قول اللسان فحسب، دون التصديق بالقلب، ودون سائر الأعمال، كما أنكروا أن تكون معرفة القلب أو شيء غير التصديق باللسان إيمانًا، وزعموا أن الكفر بالله هو الجحود والتكذيب، والإنكار له باللسان[2].

وقد وصل الغلو بهم في الإرجاء إلى القول بأنه ليس المقصود بقول اللسان ما يقوله القائل الآن أنه لا إله إلا الله، ولكن المقصود به القول الذي صدر عن ذرية آدم في وقت الميثاق حين قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى شَهِدْنَا﴾ (الأعراف: ١٧٢)، ويقولون إن ذلك القول باق أبدًا لا يزول حكمه إلا أن يرتد عنه، فحينئذ يزول حكمه، وقالوا إن الزنديق أو المنافق إذا قال بلسانه لا إله إلا الله وفي قلبه النفاق

(١) انظر تفصيل ذلك كله في رسالة الشيخ الألباني: نصب المجانيق لنسف قصة الغرانيق، المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م.

(٢) انظر الأشعري: مقالات الإسلاميين ص١٤١، وعبد القاهر البغدادي: الفرق بين الفرق ص٢١١، ٢١٢، والإسفراييني: التبصير في الدين ص١١٥، ١١٦، وابن حزم: الفصل ٤/١٥٥، وأبو سعيد النيسابوري: الغنية في أصول الدين ص١٧٣، والجيلاني: الغنية لطالبي طريق الحق ١/١٢٩، والمقدسي: البدء والتاريخ ٥/١٤٥، والشهرستاني: نهاية الأقدام ص٢٦٣، والملل والنحل ١/١١٣، ود. فيصل عون: علم الكلام ومدارسه ص١٧٥ .

والزندقة فهو مؤمن، وإن كان في الآخرة من أهل النار[١].

ومن الواضح أن مذهب الكرامة في مفهوم الإيمان مبني على عدة أسس كلامية وفلسفية أبرزها أن الإيمان حقيقة واحدة وماهية مجردة لا تتبعض أو تتجزأ كما لا تقبل الزيادة والنقصان، مثل حقيقة الإنسانية مثلاً ثم إنهم جعلوا الإيمان قائمًا على تذكر الإقرار الفطري الأول في عالم الذر وليس إنشاء جديدًا[٢]، ولا يخفى مدى الخطأ الذي تنطوي عليه تلك الأسس، ففضلاً عن مخالفتها للشرع نجد أن أصحابها قد ظنوا أن الحقائق الكلية يمكن أن توجد في الواقع هكذا، مع أن الكليات لا وجود لها إلا في الذهن، ولا توجد في الواقع إلا مشخصة وجزئية[٣]، وهكذا الإيمان لا يوجد إلا ممثلاً في إيمان زيد أو عمرو، وهو متفاوت من شخص لآخر، أما الإيمان كحقيقة مطلقة فيمكن إدراكه وتصوره عقلاً، لكن لكي يوجد في عالم الواقع فلابد أن يظهر في ذات مؤمنة معينة.

أما القول بأن الإيمان ليس سوى التذكر للميثاق الأول فهذا كلام غير صحيح ولم يرتب الشرع الثواب والعقاب على هذا الميثاق فحسب، وإنما أنزل الكتب وأرسل الرسل لتأكيد هذا الميثاق، وجعل العقوبة متوقفة على إرسالهم كما قال سبحانه: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾ (الإسراء: ١٥)، ومن الواضح أن هناك نوعًا من التشابه بين قول الكرامية هذا وبين النظرية الأفلاطونية في المعرفة وليس من المستبعد أن يكون هناك نوع من التأثير المباشر أو غير المباشر لتلك النظرية[٤].

وربما كان الأغرب مما سبق موقف الكرامية من قضية التحسين والتقبيح، حيث

---

(١) انظر عبد القاهر البغدادي: الفرق بين الفرق ص٢١١، ٢١٢، والإسفراييني: التبصير في الدين ص١١٥، ١١٦، والرازي: التفسير الكبير ٢٤/٢، وابن تيمية: النبوات ص١٤٤، ود. النشار: نشأة الفكر ٣٠٧/١ .

(٢) انظر د. سهير مختار: التجسيم عند المسلمين ص٣٠٤، ود. فيصل عون: علم الكلام ومدارسه ص١٧٦ .

(٣) انظر ابن تيمية: الرد على المنطقيين ص٨٤، ودرء التعارض ٢١٦/١، ٢١٧، ٩٦/٦، وبغية المرتاد ٢٤٨/٢، ود. عبد الرحمن المحمود: موقف ابن تيمية من الأشاعرة ٢٤٥/١ .

(٤) انظر د. سهير مختار: التجسيم عند المسلمين ص٣٠٥ .

وافقوا المعتزلة في القول بأن العقل يدرك حسن الأشياء وقبحها قبل ورود الشرع، كما أوجبوا معرفة الله عقلاً، وفعل الحسن واجتناب القبيح ولو لم ترد بذلك شريعة[١].

وقد ترتب على اعتناق الكرامية لهذا الأصل الاعتزالي عدد من اللوازم والآراء، منها قولهم بأنه يجب أن يكون أول شيء خلقه الله تعالى جسمًا حيًا يصح منه الاعتبار، وزعموا أنه لو بدأ بخلق الجمادات لم يكن حكيمًا، كذلك قالوا بأنه لا يجوز في حكمة الله تعالى اختراع الطفل الذي يعلم أنه إن أبقاه إلى زمان بلوغه آمن، ولا اختراع الكافر الذي لو أبقاه إلى مدة آمن، إلا أن يكون في اختراعه إياه قبل وقت إيمانه صلاح لغيره[٢].

ولا يخفى مدى القرب الشديد لهذا الرأي من قول المعتزلة المعروف بوجوب الصلاح والأصلح[٣]، وقد ذكر الإسفراييني أن الكرامية لحقوا بالمعتزلة في القول "بالواجبات العقلية قبل ورود الشرع، وفي القول بإيجاب أشياء وحظر أشياء على الله تعالى، وترتيبهم عليه شريعة كما رتبها عليهم"[٤].

كذلك ذهبت الكرامية إلى أن من لم تبلغه دعوة الرسل فقد لزمه أن يعتقد موجبات العقول وأن يعتقد أن الله تعالى أرسل رسلاً إلى خلقه[٥]، والمستغرب حقًا أن أكثر المعتزلة قد سبقوهم إلى القول بوجوب اعتقاد موجبات العقول، لكن لم يقل أحد قبلهم بوجوب اعتقاد وجود الرسل قبل ورود الخبر عنهم بوجودهم[٦].

---

(١) انظر عبد القاهر البغدادي: الفرق بين الفرق ص٢٠٨- ٢١٠، والإسفراييني: التبصير في الدين ص١١٤، والشهرستاني: الملل والنحل ١١٣/١، وابن تيمية: درء التعارض ٥٦/٨، ٦٥/٩، ود. النشار: نشأة الفكر ٣٠٦/١، ود. سهير مختار: التجسيم عند المسلمين ص١٤٨- ١٥٠ .

(٢) انظر عبد القاهر البغدادي: الفرق بين الفرق ص٢٠٨، ٢٠٩ .

(٣) انظر د. سهير مختار: التجسيم عند المسلمين ص١٥٠ .

(٤) الإسفراييني: التبصير في الدين ص١١٤ .

(٥) انظر عبد القاهر البغدادي: الفرق بين الفرق ص٢١٠، ٢١١ .

(٦) المصدر السابق ٢١١ .

وفي ظني أن تبني الكرامية لهذا الرأي الذي يغالي في قيمة العقل ودوره، وتأثرهم الواضح بالمعتزلة يدل على أنهم لم يكونوا حشوية على طول الخط، وإنما في أبواب كلامية دون أخرى، ولعل في هذا دليلاً واضحًا يشهد لما قررناه أكثر من مرة في ثنايا هذا البحث من أن الحشو يعتبر بمثابة تيار عام يوجد لدى الكثير من الفرق والطوائف، وقد يظهر في باب عقدي دون آخر من غير أن يستلزم بالضرورة تبني هذه الفرقة أو تلك المنهج الحشوي في كل أبواب الاعتقاد.

ثالثًا: حشوية الصوفية

وقد ظهر الحشو لدى الصوفية كما ظهر لدى غيرهم من الاتجاهات الأخرى، وأظننا لا نكون مجافين للمنطق العلمي إذا قلنا إن البيئة الصوفية بطبيعتها وخصائصها وسمات المنتمين إليها تمثل تربة خصبة لنشوء الحشو والحشوية.

وينبغي ألا يفهم من كلامنا هذا التعميم التام، أو وسم كل صوفي بأنه لابد أن يكون حشويًا بالضرورة، وإنما نعني بذلك أن البيئة الصوفية بها عدد من الخصائص البارزة والشائعة لدى كثير من الصوفية، والتي تسهم بصورة أو بأخرى في ظهور الحشو لدى الأتباع الجاهلين، أو المقلدين عديمي التحقيق، أو المغرضين ممن اتخذوا التصوف سبيلاً لتمرير اعتقاداتهم الباطلة وأفكارهم المنحرفة، ومن أبرز الخصائص التي نقصدها ما يلي:

أ- انتشار الغلو بأنواعه المتعددة لدى قطاع كبير من الصوفية، فهناك غلو في الأنبياء، وفي الأولياء والصالحين، ومبالغة شديدة في مدحهم وتعداد مناقبهم، وإسباغ عدد من الصفات التي تكاد تخرجهم من طورهم البشري وتنقلهم إلى طور آخر يتجاوز حد العدل والإنصاف الذي قررته الشريعة، وهناك غلو مماثل في الأماكن والبقاع ومنها قبور الصالحين ومشاهدهم وغلو في بعض أنواع العبادات وصورها.

وقد سبق أن ذكرنا أن الغلو يعد من أبرز الأسباب التي عملت على نشوء الحشو،

بل نستطيع أن نقول أنه لا يكاد يوجد حشو إلا وهو متضمن نوعًا من الغلو، إما في إثبات الصفات وإما في قبول كل ما يروى دون تمحيص، وغير ذلك من ألوان الغلو.

ب- يمثل موقف الصوفية من العقل عاملاً آخر في تهيئة الأجواء لظهور الحشو، وقد كتبت بعض الدراسات حول موقف الصوفية من العقل[1]، وصحيح أنها رجحت عدم معارضة عدد من محققي القوم ومشايخه الأوائل للعقل بالكلية، لكن ذلك لا ينفي بحال أن التصوف بطبيعته واعتماده على التجربة الذوقية والكشفية لا يعول كثيرًا على العقل، وهو في نظر أتباعه ليس ثقافة كسبية تتأثر بهذا الاتجاه أو ذاك، وإنما هو ذوق ومشاهدة يصل إليها الإنسان عن طريق الخلوة والرياضية والمجاهدة، والاشتياق بتزكية النفس وتهذيب الأخلاق وتصفية القلب لذكر الله تعالى، وهذا هو جوهر الشعور الصوفي[2].

والذي يعنينا من هذا الأمر هو أن عدم تعويل الصوفية — أو على الأقل قطاع كبير منهم — على العقل، والاعتماد على الذوق والكشف يفتح الباب أمام التصديق بكل ما يقال ويروى دون كثير تمحيص، لاسيما وأن الخرق قد اتسع على الراقع مع تسلل الأدعياء وانتشار الطرق وتشعبها، مما أشاع جوًا مهيئًا لقبول الأساطير والخرافات، وكما أشار ابن تيمية فإن إهمال طوائف من الصوفية للعقل ومكانته قد جعلهم "يقرون من الأمور بما يكذب به صريح العقل، ويمدحون السكر والجنون والوله، وأمورًا من المعارف والأحوال التي لا تكون إلا مع زوال العقل والتمييز، كما يصدقون بأمور يعلم بالعقل الصريح بطلانها، ممن لم يعلم صدقه"[3].

ج- وثمة عامل آخر مهم وهو قلة عناية أكثر الصوفية بالعلم ولاسيما علم الحديث

---

(١) انظر على سبيل المثال د. محمد عبد الله الشرقاوي "موقف الصوفية من العقل حتى نهاية القرن الرابع الهجري" رسالة ماجستير بكلية دار العلوم (١٩٧٨م).

(٢) انظر د. عبد الحليم محمود: أبحاث في التصوف، الملحق بتحقيق المنقذ من الضلال ص٢٣٨ .

(٣) ابن تيمية: مجموع الفتاوى ٣٣٨/٣ .

الذي يميز به بين صحيح المرويات وضعيفها، مما جعل الكثير من كتب القوم مرتعًا خصبًا لانتشار الأحاديث الضعيفة والموضوعة والتي لا أصل لها، وقد نقل عن نفر من الصوفية أقوال يفهم منها التنفير من طلب العلم الشرعي وتفضيل العلم الكشفي الذوقي عليه.

ومن هذا القبيل ما حكي عن أبي يزيد البسطامي أنه قال: "أخذتم علمكم ميتًا عن ميت وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت"(١)، وكان أبو مدين إذا قيل له قال فلان عن فلان عن فلان يقول: "ما نريد نأكل قديدًا هاتوا ائتوني بلحم طري"(٢)، وقال ابن عربي: "فشتان بين مؤلف يقول حدثني فلان رحمه الله عن فلان رحمه الله وبين ما يقول حدثني قلبي عن ربي، وإن كان هذا رفيع القدر فشتان بينه وبين من يقول حدثني ربي عن ربي أي حدثني ربي عن نفسه"(٣).

ويضاف لذلك ما اشتهر عن بعض الصوفية من تبني القول بتصحيح الأحاديث وتضعيفها عن طريق الكشف القلبي "وربما صح عندهم من أحاديث الأحكام ما اتفق غيرهم على ضعفه، وتجريح رجاله، وأما هم فيأخذون به من طريق الكشف ويتقيدون به"(٤)، وقد نص ابن عربي – في الفتوحات المكية – صراحة على هذا(٥) كما طبقه بعض الصوفية عمليًا(٦).

ولا يخفى أن فتح باب التصحيح والتضعيف عن طريق المكاشفة يؤدي إلى الفوضى العلمية ويزعزع الثقة بقواعد المصطلح المقررة والصارمة والتي ارتضتها الأمة عبر

(١) انظر الكلاباذي: التعرف ص٦، وابن الجوزي: تلبيس إبليس ص٣٩٢، وابن تيمية ٤١٣/١٠، والشعراني: الطبقات الكبرى ١١/١ .

(٢) ابن عربي: الفتوحات المكية ٢٨٠/١ .

(٣) المصدر السابق ٥٧/١ .

(٤) عبد العزيز سيد الأهل: التصوف الإسلامي، أصوله ومحاذيره/ ص١١٦ .

(٥) ابن عربي: الفتوحات المكية ١٥٠/١، وقد كرر هذا الكلام في موضع آخر من الفتوحات ٣٧٦/٢، وانظر أيضًا العجلوني: كشف الخفاء ٩/١ .

(٦) انظر الشعراني: الطبقات الكبرى ٣٨٨/١ .

العصور ومثلت ضمانة عظيمة لحفظ السنة، كما كانت موضع فخر للأمة المسلمة على غيرها من الأمم التي ليس لها أسانيد ثابتة في نقل كتبها المقدسة، وقد نص غير واحد من أهل العلم على أن هذا الأمر يعد خصيصة من خصائص أمة الإسلام[1].

د- ومن العوامل المهمة التي أسهمت في ظهور الحشو لدى الصوفية وجود عدد من الحالات غير العادية والتي ربما ظهرت على بعض مشايخ القوم وأئمتهم، مثل الشطح والسكر وما أشبه ذلك، وهي حالات لا يرى الصوفية بها بأسًا بل يعذرون أصحابها ويحملون ما يصدر منهم على أحسن المحامل وأبعدها عن الملامة والمخالفة للشرع.

ولسنا الآن بصدد تحقيق القول في تلك الأحوال والظواهر وهل أصحابها معذورون أم لا، وإنما نكتفي فقط بالتنبيه إلى أن مكمن الخطورة في تلك الأحوال يتجلى في أن الرجل من الصوفية قد يتفوه أثناءها بعبارات في غاية الخطورة، تتضمن حشوًا صريحًا من قبيل الحلول أو الاتحاد، أو المبالغات الشديدة التي لا يقبلها عقل أو نقل، كما سنشير إلى نماذج من هذا القبيل فيما بعد إن شاء الله تعالى.

هـ- ويبقى عامل أخير يضاف لما سبق كله وهو عدم تميز الصوفية بمذهب عقدي معين ينفردون به عمن سواهم من الطوائف الأخرى، وثمة اختلاف بين مؤرخي الفرق: هل يعدونهم طائفة مستقلة، أم يدرجونهم في عداد أهل السنة – بالمعنى الأعم –[2]، ولا شك أن استقراء أحوال الصوفية يدل على عدم تميزهم باتجاه خاص في الجانب العقدي، وليس من اليسير أن نعثر في كتبهم على أصول للاعتقاد تجمعهم، وتجعلهم ينفردون بها عن سائر المذاهب، وليس في كتب القوم كبير اهتمام بشرح عقائد ولا عرض الأصول؛ إنما التركيز على المقامات والأحوال وطرائق السلوك، ويضاف لذلك أن تجربة التصوف الذاتية تجعل من المتعذر جمعهم في وحدة فكرية،

(١) انظر ابن حزم: الفصل ٢/٢٢١، وابن تيمية: مجموع الفتاوى ١/٩ .

(٢) انظر: د. النشار، مقدمة تحقيق كتاب اعتقادات فرق المسلمين والمشركين للرازي، ص١ .

تؤلف بين أفرادها مبادئ وأصولاً محددة والمطالع لما كتبه القشيري والكلاباذي عن عقائد القوم لا يجد فيها رأيًا مستقلاً ينفردون به عن غيرهم، وحتى عندما عرض بعض الصوفية لمشكلات علم الكلام ومسائله، فقد أخذوا بشيء مما قال به السلف، أو المعتزلة، أو الأشاعرة، وكان منهم من انتمى إلى هؤلاء أو أولئك، إذا ما استثنينا أصحاب التصوف الفلسفي[١].

والنتيجة المترتبة على عدم تميز الصوفية بمذهب عقدي خاص هي وجود صوفية بين سائر الاتجاهات الكلامية المختلفة، فهناك صوفية أشاعرة – وهذا الغالب – وصوفية اثنا عشرية، وصوفية إسماعيلية باطنية، وصوفية مشبهة، ومادامت ظاهرة الحشو موجودة لدى كل تلك الاتجاهات فمن المؤكد تسربها إلى الصوفية أيضًا.

وإذا كانت العوامل السابقة قد أسهمت بصورة ما في ظهور الحشو لدى الصوفية فينبغي أن نشير أيضًا إلى أن اتجاه الحشو لديهم لم يأخذ صورة واحدة كما هو الحال عند بعض الفرق الأخرى، وإنما يمكننا أن نرصد أربعة أمور ظهرت لدى الصوفية وهي تندرج كلها في مفهوم الحشو الذي قررناه في صدر هذا البحث.

١– القول بالحلول والاتحاد، أو بوحدة الوجود

ولا شك أن القول بهذه الأمور يندرج قطعًا في مفهوم الحشو، لأنه يتضمن تشبيهًا وتجسيمًا ووصفًا للخالق سبحانه بصفات المخلوق الذي اتحد به أو حل فيه أو كان هو الخالق – سبحانه وتعالى – وجودًا واحدًا، وقد نبه الجويني في كتابه الشامل إلى أن القول بالحلول مندرج في القول بالتشبيه[٢].

وإذا كنا لا نتردد في الحكم بالحشو على من قال إن صفات الخالق مشابهة لصفات

---

(١) انظر: د. إبراهيم مدكور في الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيقه ١٣٣/٢، ١٣٤، ود. أحمد محمود صبحي: الفلسفة الأخلاقية في الفكر الإسلامي ص٢٢٠– ٢٢٥، وانظر بحثنا السلفي بمصر في العصر الحديث وموقفه من التصوف ص٦٥ .

(٢) انظر الجويني: الشامل ص٢٨٨ .

المخلوق مع اعتقاده التمايز التام بين الذاتين، فما بالنا بمن نفي الاثنينية، وقال إن الرب والعبد شيء واحد، ولا فرق بين الذاتين بكل ما يترتب على ذلك من وصف الرب سبحانه بصفات المخلوق المحدثة، وقد صرح ابن عربي بشيء من ذلك حيث قال: "ألا ترى الحق يظهر بصفات المحدثات، وأخبر بذلك عن نفسه، وبصفات النقص وبصفات الذم، ألا ترى المخلوق يظهر بصفات الحق من أولها إلى آخرها وكلها حق له، كما هي صفات المحدثات حق للحق"(١).

ومن المعروف أن القول بالحلول والاتحاد ووحدة الوجود ليس مذهبًا جديدًا ابتدعه الصوفية وإنما كان من الأفكار المعروفة لدى العديد من الثقافات والفلسفات القديمة مثل اليونانية والهندية والمسيحية والغنوصية، وقد أشار إلى هذا الأمر عدد من مؤرخي الفرق القدامى كالبيروني(٢) والكثير من الدارسين والمحدثين(٣)، لكن رغم وجود جذور قديمة لهذا القول فيبقى أن مذهب الصوفية يعد من أكثر المذاهب التي خرج من بينها أناس يتبنون هذا الاعتقاد المنحرف والمغرق في الضلال، وقد عد فخر الدين الرازي من أقسام الصوفية قسمًا سماه بالحلولية، ووصفهم بأنهم "يرون في أنفسهم أحوالاً عجيبة وليس لهم من العلوم العقلية نصيب وافر فيتوهمون أنه قد حصل لهم الحلول أو الاتحاد فيدعون دعاوى عظيمة"(٤).

ويطول بنا المقام إذا حاولنا تتبع نصوص الصوفية المصرحة بالحلول والاتحاد أو

---

(١) ابن عربي: فصوص الحكم ص٨٠، ٨١ .

(٢) انظر البيروني: تحقيق ما للهند من مقولة ١/٢٥ .

(٣) انظر عبد الرحمن بدوي: تاريخ التصوف ص٤١، ود. عبد القادر محمود: الفلسفة الصوفية في الإسلام ص٨، ٣٠، والمنوفي: جمهرة الأولياء ١/٢٩٢، ود. أحمد محمود صبحي: التصوف إيجابياته وسلبياته ص٥٣، ود. فيصل عون: التصوف الإسلامي الطريق والرجال ص٦٣، وإدريس محمود: مظاهر الانحرافات العقدية عند الصوفية ١/١٧٧- ١٨٥، وسارة بنت عبد المحسن: نظرية الاتصال عند الصوفية في ضوء الإسلام ص٣١٥، ود. أحمد بن عبد العزيز القصير: عقيدة الصوفية وحدة الوجود الخفية ص٦٥ .

(٤) الرازي: اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص٧٣ .

وحدة الوجود، من قبيل قول أبي يزيد البسطامي: "سبحاني سبحاني ما أعظم شأني"[١]، وقوله: "ما في الجبة إلا الله"[٢]، وقول الحلاج: "يا من هو أنا وأنا هو لا فرق بين أنيتي وهويتك إلا الحدث والقدم"[٣]، وقال أيضًا: "قيامي بحقك ناسوتية، وقيامك بحقي لاهوتية، وكما أن ناسوتيتي مستهلكة في لاهوتيتك غير ممازجة إياها، فلا هوتيتك مستولية على ناسوتيتي غير مماسة لها"[٤].

ومن شعر الحلاج المصرح بذلك قوله[٥]:

أنا أنت بلا شك فسبحانك سبحاني

وتوحيدك توحيدي وعصيانك عصياني

وإسخاطك إسخاطي وغفرانك غفراني

ولم أجلد يا رب وإذا قيل هو الزاني

٢- القول بالتشبيه والتجسيم

وقد ظهر القول بالتشبيه والتجسيم لدى نفر من الصوفية، كما ظهر لدى طوائف أخرى، ومن أشهر رجال الصوفية الذين نسبهم المؤلفون في الفرق إلى القول بالتجسيم: مضر وكهمس، وبعض أصحاب عبد الواحد بن زيد، ومن الأقوال الشنيعة التي نسبت إليهم جواز رؤية الله في الدنيا، وجواز مصافحته وملامسته، ومزاورته إياهم، وقال بعضهم إن المخلصين يعانقونه في الدنيا والآخرة إذا أرادوا ذلك، وحكي عن بعض أصحاب عبد الواحد بن زيد أنهم كانوا يقولون إن الله سبحانه يرى على

(١) انظر الطوسي: اللمع ص٤٧٢، وابن تيمية: مجموع الفتاوى ٢/٤٦١، وعبد الرحمن بدوي: شطحات الصوفية ص٢٩ .

(٢) انظر ابن تيمية: الجواب الصحيح ٤/٢٤١، مجموع الفتاوى ٢/٤٦١، وابن القيم: مدارج السالكين ١/١٥٥، وطريق الهجرتين ص٤٥ .

(٣) الحلاج: الأعمال الكاملة ص٢٤٩ .

(٤) المصدر السابق ص٢٤٦ .

(٥) المصدر السابق ص٣٢٧ .

قدر الأعمال، فمن كان عمله أفضل رآه أحسن[1].

ومن الصوفية أيضًا – كما يقول المقدسي – من يزعم أنه ربما يلقى ربه في بعض الطرق ويعانقه ويقبله[2]، ومنهم رجل يسمى بأبي حلمان الدمشقي الصوفي[3]، وكان أصله من فارس ومنشؤه حلب، وأظهر بدعته بدمشق فنسب لذلك إليها، وتسمى طائفته بالحلمانية، والحلماني هذا كان يقول بحلول الإله في الأشخاص الحسنة، وكان مع أصحابه إذا رأوا صورة حسنة سجدوا لها يوهمون أن الإله قد حل فيها، كما كان يقول بالإباحة ويدعى أن من عرف الإله على الوصف الذي يعتقده هو زال عنه الحظر والتحريم واستباح كل ما يستلذه ويشتهيه، وقد ناظر عبد القاهر البغدادي بعض هؤلاء الحلمانية ورد عليهم[4].

وممن عزي إليهم القول بالتشبيه أيضًا طائفة السالمية المنتسبين لأبي عبد الله محمد بن سالم (ت ٢٩٧هـ)، وابنه أبي الحسن أحمد (ت ٣٥٠هـ) ومن أشهر رجالهم أبو طالب المكي الصوفي المعروف، وثمة اختلاف في تقويم هذه الفرقة وهل هم مجسمة وحلولية فعلاً، أم أنهم قريبون جدًا من الحنابلة، وإن كان لديهم شيء من البدع[5]، ولسنا الآن في معرض تحقيق القول حول هذه الطائفة لكننا نشير إلى بعض الأقوال

(١) انظر الأشعري: مقالات الإسلاميين ص٢١٤، ٢٨٨، والشهرستاني: الملل والنحل ١٠٥/١، وابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة ١٣٧/٣، وابن تيمية: بيان تلبيس الجهمية ٤٠٢/١، ود. النشار: نشأة الفكر الفلسفي ٢٨٧/١، ٢٨٨ .

(٢) المقدسي: البدء والتاريخ ١٤١/٥ .

(٣) وقد نعته الطوسي في اللمع ص٣٦٢ بأبي حلمان الصوفي، ورجح د. النشار في نشأة الفكر ٢٩٣/١ بأنه هو نفسه أبو حلمان الدمشقي.

(٤) انظر عبد القاهر البغدادي: الفرق بين الفرق ص٢٤٥، والإسفراييني: التبصير في الدين ص١٣٢، ود. النشار: نشأة الفكر الفلسفي ٢٩٣/١، ود. السنهوني: دراسات نقدية في مذاهب الفرق الكلامية ص٢٩١ .

(٥) انظر ابن عساكر: تبيين كذب المفتري ص٣٦٦، وابن تيمية: شرح العقيدة الأصفهانية ص١٦٦، ودرء التعارض ٣٥٣/٥، ومجموع الفتاوى ٤٨٣/٥، ٤٨٤، ١٠/٦، ٥٦، ود. النشار: نشأة الفكر ٢٩٤/١، ٢٩٥، ود. مصعب الخير: الآراء الحشوية في الفكر الإسلامي ص١٧ .

الخطيرة التي نسبها إليهم غير واحد من أهل العلم، ومنهم عبد القادر الجيلاني الذي عقد فصلاً مستقلاً من كتابه الغنية لذكر أقوالهم ووصفهم بالفرقة الضالة[١]، كما وصفهم ابن تيمية بأنهم حلولية في الذات والصفات[٢]، ومن الآراء التي نسبها إليهم الجيلاني وابن الجوزي وغيرهم القول بأن الله يرى يوم القيامة في صورة آدمي محمدي، وأنه ﷻ يتجلى لسائر الخلق يوم القيامة من الجن والإنس والملائكة أجمع لكل واحد في معناه، فيراه الآدمي آدميًا والجني جنيًا، كما زعموا أن الله تعالى يقرأ على لسان كل قارئ للقرآن، وأنهم إذا سمعوا القرآن من قارئ فإنما يسمعونه من الله[٣].

وإضافة لهؤلاء النفر المتهمين بتبني القول بالتجسيم صراحة فيمكننا أن ندرج في عداد القول بالتجسيم والتشبيه لدى الصوفية أمرين آخرين وهما:

الأول: تشبيه المخلوق بالخالق بأن ينسب إليه شيء مما يختص به الخالق سبحانه وتعالى من الأفعال والحقوق والصفات، مثل إحياء الموتى وإنزال المطر والعلم بالمغيبات وما أشبه ذلك من أمور، ومن الملاحظ أن جل المتكلمين قد انشغلوا بالرد على أصحاب النوع الأول من التشبيه وهو تشبيه الخالق بالمخلوق و لم يهتموا كثيرًا بالنوع الثاني[٤].

وثمة نماذج كثيرة في كتب الصوفية – ولاسيما كتب المناقب والتراجم – لهذا النوع من الغلو في الأولياء والصالحين، ووصفهم بأوصاف وأفعال لا يستحق أن يوصف بها سوى الخالق سبحانه وتعالى من قبيل التصرف في الكون وقلب الأعيان، والعلم بالمغيبات، وتدبير شأن المخلوقات وغير ذلك الكثير.

---

(١) انظر الجيلاني: الغنية ١/١٣٢، ١٣٣ .

(٢) انظر ابن تيمية: درء التعارض ٥/٣٥٣، ومجموع الفتاوى ٦/٣١٠ .

(٣) انظر الجيلاني: الغنية ١/١٣٢، ١٣٣، وابن الجوزي: تلبيس إبليس ص١٠٤، ود. النشار: نشأة الفكر ١/٢٩٤، ٢٩٥، ود. السنهوتي: دراسات نقدية ص٢٩١ .

(٤) انظر ابن القيم: إغاثة اللهفان ٢/٢٢٦، ٢٢٧، ود. جابر إدريس: مقالة التشبيه ١/١٦٤.

ومن الأمثلة الدالة على ذلك وصف الشعراني للشيخ شمس الدين الحنفي بأنه "أحد من أظهره الله تعالى إلى الوجود، وصرفه في الكون، ومكنه في الأحوال، وأنطقه بالمغيبات، وخرق له العوائد وقلب اله الأعيان، وأظهر على يديه العجائب، وأجرى على لسانه الفوائد"(١).

ونقل صاحب كتاب الإبريز عن شيخه الدباغ أنه قال له: "إني أرى السماوات السبع والأرضين السبع داخله في وسط ذاتي وكذا ما فوق العرش من السبعين حجابًا، وفي كل حجاب سبعون ألف عالم، وبين كل حجاب وحجاب سبعون ألف عالم، وكل ذلك معمور بالملائكة الكرام، وكذا ما فوق الحجب السبعين من عالم الرقا فكل هؤلاء المخلوقات لا يقع في فكرهم شيء فضلاً عن جوارحهم إلا بإذن رجل – يعني الدباغ – رحمه الله تعالى"(٢).

ولعل السر وراء صدور هذا الغلو الشديد الذي يتجاوز كل حد معقول هو أن الدباغ وغيره يتصور نفسه القطب الأعظم، ومن خصائص القطب عنده أن نسبته إلى الوجود كنسبة الروح للجسد، فلو زالت روحانيته من الوجود لانعدم الوجود كله كما "أن القطب في كل عصر له وجهة إلى كل ذرة من الموجودات، يمدها ويقومها ذرة ذرة، فما من ساجد سجد لله تعالى في الوجود أو راكع ركع لله أو قائم قام لله أو متحرك تحرك لله تعالى أو ذاكر ذكر الله تعالى بأي ذكر في جميع الوجود إلا والقطب في ذلك هو المقيم له، فيه سبح المسبح، وبه عبد العابد، وبه سجد الساجد"(٣).

ومن الأفكار الخطيرة التي تأخذ طابعًا أسطوريًا، وقد تبناها طوائف من الصوفية فكرة الديوان القطبي، وهو تجمع أو مجلس للأقطاب والغوث والأوتاد وسائر الأولياء،

---

(١) الشعراني: الطبقات الكبرى ١/٤٠٦ .

(٢) السلجاسي: الإبريز من كلام سيدي عبد العزيز الدباغ ص٣٧٣ .

(٣) جواهر المعاني ١/٢٦٦، ٢٦٧ نقلاً عن د. محمد لوح: تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي ١/١٧٢ .

يتداولون فيه أمر العالم وما يحدث فيه ويدبرون شئونه جميعًا، وكما يذكر المستشرق نيكلسون فإن "للأولياء حكومة باطن يرون أن عليها يتوقف نظام العالم، ورأس هذه الحكومة الأعلى يسمى القطب، وهو أرفع صوفية عصره، وإليه رئاسة الاجتماعات التي يعقدها في انتظام مجلس شوراه الموقر، وأعضاء هذا المجلس لا يعوقهم عن الحضور حواجز الزمان والمكان، وإنما يأتون من أرجاء الأرض في لمحة طرف"[١].

وللأسف الشديد فإن كلام نيكلسون الآنف الذكر ليس من قبيل دس المستشرقين أو افترائهم على تراثنا الإسلامي، وإنما هو تعبير حقيقي عما تحفل به بعض الكتب الصوفية من أخبار أسطورية عديدة حول هذا الديوان وطبيعته وأعضائه ومكانه ومهامه[٢]، ولعل أخطر جزئية تتعلق بهذا الديوان هي طبيعة الدور المنوط به والذي يكاد أن يشمل أمور الكون جميعًا وشئون الخلق قاطبة، إذ إن أهل الديوان "لهم التصرف في العوالم كلها السفلية والعلوية، وحتى في الحجب السبعين، وحتى في عالم الرقا وهو ما فوق الحجب السبعين، فهم الذين يتصرفون فيه وفي أهله وفي خواطرهم وما تهجس به ضمائرهم فلا يهجس في خاطر واحد منهم شيء إلا بإذن أهل التصرف رضي الله عنهم أجمعين، وإذا كان هذا في عالم الرقا الذي هو فوق الحجب السبعين التي هي فوق العرش فما ظنك بغيره من العوالم"[٣].

وليت شعري إذا كان أهل الديوان ينظرون في كل هذه الأمور ويتداولون بشأنها فماذا بقي للخالق ومالك الكون ومدبر أموره سبحانه وتعالى، ثم لماذا لم يتدخل أهل ذلك الديوان المزعوم لانتشال المسلمين من وهدتهم، ونصرة المظلومين منهم وإرجاع أرضهم المغتصبة لهم !!!!

---

(١) نيكلسون: الصوفية في الإسلام ص١٢٠، ترجمة نور الدين شريبة.

(٢) وانظر في الكلام حول هذا الديوان تفصيلاً كتاب السلحماسي: الإبريز من كلام سيدي عبد العزيز الدباغ ص٢٧٨، ومن كتابات منتقدي الصوفية. انظر عبد الرحمن الوكيل: هذه هي الصوفية ص١٣١، وعبد الرحمن عبد الخالق: الفكر الصوفي ص٢٦٩، ود. محمد أحمد لوح: تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي ١/١٢٥ .

(٣) السلحماسي: الإبريز من كلام سيدي عبد العزيز الدباغ ص٢٨٨ .

وأما **الأمر الثاني** الذي يمكن إدراجه في عداد القول بالتشبيه فهو ما ورد في بعض كتب الصوفية من شطحات وأقوال وروايات منسوبة لنفر منهم، وتتضمن وصفًا للرب سبحانه بصفات لا تليق بجلاله وكماله، أو تزعم أن كلامًا جرى بين العبد والرب، أو وصف للكرسي والعرش والحجاب دون وجود مستند صحيح يدل على ذلك، ومن نماذج هذا القبيل قول الحلاج: "حمدًا لله الذي يتجلى على رأس إبرة لمن يشاء، ويستتر في السماوات والأرض عمن يشاء"(١)، وحكي عن أبي يزيد البسطامي انه قال: "رفعني مرة، فأقامني بين يديه، وقال لي: يا أبا يزيد إن خلقي يحبون أن يروك، فقلت: زيني بوحدانيتك وألبسني أنانيتك وارفعني إلى أحديتك، حتى إذا رآني خلقك قالوا رأيناك فتكون أنت ذاك ولا أكون أنا هنا"(٢).

وحكى الشعراني عن إبراهيم الدسوقي أنه قال: "أنا في السماء شاهدت ربي، وعلى الكرسي خاطبته، أنا بيدي أبواب النار غلقتها، وبيدي جنة الفردوس فتحتها من زارني أسكنته جنة الفردوس، .... وما كان ولي متصلاً بالله تعالى إلا، وهو يناجي ربه كما كان موسى عليه السلام يناجي ربه، .... وأن الله عز وجل خلقني من نور رسول الله ﷺ، وأمرني أن أخلع على جميع الأولياء بيدي، فخلعت عليهم بيدي، وقال لي رسول الله ﷺ: يا إبراهيم أنت نقيب عليهم ...، وقال لي: يا إبراهيم سر إلى مالك، وقل له يغلق النيران، وسر إلى رضوان، وقل له يفتح الجنان"(٣).

ومن الواضح أن الأوصاف المذكورة في النصوص السابقة لا تخلو من تشبيه أو وصف لله بما لا يليق به، ولست أدري كيف يزعم هؤلاء النفر من الصوفية أنهم رأوا ربهم في الدنيا بعين البصر، مع أن كليم الرحمن موسى لم يستطع ذلك، وخر صعقًا لما تجلى ربه للجبل، كما قال تعالى: ﴿**وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ**

(١) الحلاج: الأعمال الكاملة ص٢٣٣ .

(٢) الطوسي: اللمع ص٤٦١ .

(٣) الشعراني: الطبقات الكبرى ١/٢٥٥، ٢٥٦ .

﴿أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَـكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ موسَى صَعِقاً فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الأعراف: ١٤٣)، كذلك لست أفهم كيف يزعم الواحد من هؤلاء مخاطبة الله مباشرة بدون واسطة أو حجاب مع أن الله تعالى يقول في محكم التنزيل: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلا وَحْياً أَوْ مِن وَرَاء حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ (الشورى: ٥١).

٣- الأحاديث الموضوعة

ولا شك أن المطالع لمصنفات الصوفية المختلفة يجدها قد امتلأت بركام هائل من الأحاديث الضعيفة والموضوعة، ويرجع ذلك لعدد من الأسباب منها انشغالهم بالعبادة عن العلم، واعتقاد بعضهم أن العلوم الشرعية ومنها علم الحديث يصرف السالك عن طريق الله، وقلة عنايتهم بعلم الحديث، وشيوع فكرة التصحيح والتضعيف بالكشف التي أشرنا إليها آنفًا والتي تنفي أية حاجة لتطبيق قواعد المصطلح وإنما التعويل على ما يمليه الذوق تصحيحًا وتضعيفًا.

وإذا اتخذنا من حجة الإسلام أبي حامد الغزالي نموذجًا في هذا الباب، فسوف نجد أنه وإن كان يعد من أبرز الصوفية المبرزين في العلوم الشرعية المختلفة كالفقه والأصول والكلام إلا أنه كان مع ذلك قليل البضاعة في علم الحديث، كما اعترف هو نفسه بذلك فقال: "وبضاعتي في علم الحديث مزجاة"[(١)]، ورغم دفاع السبكي المستميت عن الغزالي فقد اعترف بذلك فقال: "فالغزالي معروف بأنه لم تكن له في الحديث يد باسطة"[(٢)].

ولعل كتاب الغزالي إحياء علوم الدين يعد نموذجًا واضحًا لمصنفات الصوفية

---

(١) الغزالي: قانون التأويل ص٣٠، وقد نقل ابن تيمية هذا الوصف في العديد من كتبه فانظر درء التعارض ٥/١، ومجموع الفتاوى ١٧٦/٣٥، والرد على المنطقيين ٤٨٣ .

(٢) السبكي: طبقات الشافعية ٢٤٩/٦ .

المكتظة بالأحاديث الموضوعة والتي لا أصل لها[1]، لكن من المهم أن نؤكد على أن الغزالي لم يكن ممن يتعمدون إيراد هذه الأحاديث الموضوعة، وإنما أوتي من قصر باعه في علم الحديث، وقد أقر بذلك وبرأ الغزالي من تهمة تعمد وضع تلك الأحاديث شخصيتان من أبرز من نقدوا الغزالي وهما ابن الجوزي[2]، وابن تيمية[3].

ومن نماذج الأحاديث التي ذكرها الغزالي في الإحياء وهي إما موضوعة أو ضعيفة أو لا أصل لها حديث "إن في جهنم سبعين ألف واد، في كل واد سبعين ألف شعب، في كل شعب سبعون ألف ثعبان، وسبعون ألف عقرب لا ينتهي الكافر والمنافق حتى يوقع ذلك كله"[4]، وحديث "إن الرجل من أهل الجنة ليتزوج خمسمائة حوراء، وأربعة آلاف بكر، وثمانية آلاف ثيب يعانق كل واحدة منهن مقدار عمره في الدنيا"[5]، وحديث "إن الله ملكًا نصفه من النار ونصفه من الثلج يقول اللهم كما ألفت بين الثلج والنار كذلك ألف بين قلوب عبادك الصالحين"[6]، وحديث "إن الأكل على الشبع يورث البرص"[7].

ومن كتب الغزالي المملوءة بالأحاديث الضعيفة والموضوعة أيضًا كتابه "مكاشفة القلوب" والغريب حقًا أنه يسوق في هذا الكتاب بعض الأمثال ناسبًا إياها إلى النبي ﷺ على أنها أحاديث، ومن ذلك حديث "عز من قنع وذل من طمع"[8]، وحديث

(١) وقد خرج ابن عساكر أحاديث الإحياء في كتابه المغني عن حمل الأسفار، وجمع السبكي في كتابه طبقات الشافعي ٢٨٧/٦ ما في الإحياء من الأحاديث التي لا أصل لها فاستغرقت عشرات الصفحات.

(٢) ابن الجوزي: المنتظم ١٧٠/٩ .

(٣) ابن تيمية: درء التعارض ١٤٩/٧ .

(٤) الغزالي: إحياء علوم الدين ٥٣١/٤ .

(٥) المصدر السابق ٥٤١/٤ .

(٦) المصدر السابق ١٦٠/٢ .

(٧) المصدر السابق ٨٢/٣ .

(٨) الغزالي: مكاشفة القلوب ص٢١٢ .

"القناعة كنـــز لا يفنى"[١].

ولعل من المهم أن نشير إلى أن كتب الغزالي كالإحياء ومكاشفة القلوب وغيرهـــا ليست وحدها المكتظة بالأحاديث الموضوعة والضعيفة، وإنما يعد هذا الأمر سمة مطردة في جل مصنفات الصوفية، ليس بوسع أحد أن ينكرها[٢]، وينطبق الحكم السابق على أبرز كتب التصوف كمصنفات أبي عبد الرحمن السلمي، والرسالة القشيرية، وقـــوت القلوب لأبي طالب المكي[٣]، واللمع للطوسي[٤]، وكشف المحجوب للـــهجويري[٥]، والمصباح في مكاشفة بعث الأرواح لروزبهان البقلي[٦]، فضلاً عن مصنفات المتأخرين.

ولست أدري كيف يورد بعض أصحاب هذه الكتب أحاديث ظـــاهرة الوضـــع والكذب ويجزمون بنسبتها للرسول ﷺ مثل حديث "من سمع صوت أهل التصوف فلا يؤمن على دعائهم كتب عند الله من الغافلين"[٧]، وحديث "لا يبلغ عبد حقيقة الإيمان حتى يظن الناس أنه مجنون"[٨]، وحديث "كنت كنـــزًا مخفيًا فأحببت أن أعـــرف"[٩]، وحديث "المؤمن خير من الملائكة"[١٠]، وعزا الجيلاني إلى السالمية قولهم بخبر موضـــوع ينص على أن موسى عليه السلام لما كلم ربه أعجب بنفسه فأوحى الله إليـــه يـــا موســـى

(١) المصدر السابق ص٢١٢ .
(٢) انظر ابن تيمية: مجموع الفتاوى ٦٨٠/١٠ .
(٣) انظر ابن تيمية: مجموع الفتاوى ٥٥١/١٠، ٦٨٠/١١، ٧٢/١٨ .
(٤) انظر الطوسي: اللمع ص٤٢١، ٤٥٦، ٤٦٢، ٤٧٨ .
(٥) انظر الهجويري: كشف المحجوب ٢٢٧/١ .
(٦) انظر روزبهان البقلي: المصباح في مكاشفة بعث الأرواح ص٩، ١٨، ١٩ .
(٧) وهذا الحديث ظاهر الوضع ذكره الهجويري في: كشف المحجوب ٢٢٧/١ مع أن مصطلح التصوف لم يكن له وجود في عهد النبي ﷺ وإنما ظهر في فترة لاحقة.
(٨) الطوسي: اللمع ص٤٢١ .
(٩) روزبهان البقلي: المصباح في مكاشفة بعث الأرواح ص٩ .
(١٠) المصدر السابق ص١٩ .

أتعجبك نفسك مد عينيك فمد موسى عينيه فنظر فإذا قدامه مائة طور على كل طور موسى"[1].

وأما كتب أصحاب التصوف الفلسفي – على قلة ما فيها من الأحاديث باستثناء الفتوحات المكية لابن عربي – فهي لا تخلو من الموضوعات وما لا أصل له، ونكتفي هنا بالتمثيل ببعض الأحاديث الموضوعة التي ذكرها ابن عربي، ومنها حديث "أول ما خلق الله العقل وهو الحق الذي خلق به السموات والأرض"[2]، وحديث "رأيت ربي في صورة شاب"[3]، وحديث "الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا"[4]، وحديث "أول ما خلق الله روحي"[5]، وحديث "أول ما خلق الله نوري"[6].

٤– الخرافات والشطحات

ولا شك أن المطالع لكثير من كتب التصوف يجدها حافلة بما لا يمكن تصديقه من قصص وحكايات الصالحين وكراماتهم الخارقة للعادات، وكما يقول ابن تيمية فإن "في كتب التصوف من الحكايات المكذوبة ما الله به عليم"[7]، ويظهر هذا الأمر بوضوح في كتب الصوفية المتأخرين التي ألفوها في الطبقات، والمناقب وفي تراجم أئمة الصوفية ومشايخهم، حيث تميل دائمًا إلى الغلو الظاهر، والمبالغة في صفات الممدوح، وإسباغ الكثير من الصفات غير المعتادة عليه، حتى إنه في بعض الأحيان يكاد يتجاوز طور البشرية إلى طور آخر.

ولا يتسع المقام هنا لتتبع تلك الظاهرة في كتب الصوفية عبر العصور المختلفة، لذا

---

(١) الجيلاني: الغنية ١/١٣٣ .

(٢) ابن عربي: الفتوحات المكية ٢/٩٤ .

(٣) المصدر السابق ١/١٤٤ .

(٤) المصدر السابق ٤/٤٠٢ .

(٥) ابن عربي: شق الجيب بعلم الغيب ضمن رسائل ابن عربي، ص٢٨٩ .

(٦) المصدر السابق ص٢٨٩ .

(٧) ابن تيمية: المستدرك على مجموع الفتاوى ١/٦٥ .

سوف نكتفي بالإشارة إلى واحد من أكثر كتب طبقات الصوفية إثارة للجدل وهو كتاب الطبقات الكبرى للشعراني، وقد تضمن الكتاب المذكور كمًا هائلاً من الخرافات والأساطير، والت يباين العديد منها حدود العقل ويتعارض مع الشرع، كما لا يخلو من خدش للحياء وانتهاك لقواعد الأدب والذوق والأخلاق، مما حدا بنفر من الصوفية إلى القول بأن تلك الأمور دست على الكتاب من مبغضي الشعراني، بينما نفي منتقدو الصوفية ذلك واتخذوا من تلك الخرافات وسيلة ناجعة لذم الصوفية والطعن فيهم.

وليس مقصدنا الآن أن نحكم بين الفريقين لأن الإشكال الحقيقي أن كتاب الشعراني ليس الوحيد في هذا الباب، فهناك كتابات أخرى تسير على منواله وقد أثرت في عقول الكثير من أتباع التصوف عبر عصور متتابعة، ولا أظن أننا بحاجة إلى بيان حال تلك الخزعبلات التي تكفي حكايتها فحسب لبيان بطلانها لدى كل من عنده مسكة عقل، وسواء ذكرها الشعراني نفسه، أو دست عليه – كما يقول المدافعون عن التصوف – فلا شك أنها مؤشر خطير على شيوع الجهل والخرافة لدى الصوفية في تلك الأعصر المتأخرة، ثم إن إيراد تلك الحكايات الأسطورية أو الخرافية التي يصعب على العقل تصديقها ليس مقصورًا على كتاب الطبقات للشعراني وما أشبهه من كتب المتأخرين بل هو أمر موجود للأسف الشديد في عدد من الكتب الرئيسية عند الصوفية وبعضها لأئمة متقدمين جدًا وإن كانت ليست بنفس الكم والكيف.

ويمكننا أن نضرب مثالاً لذلك بما حكاه أبو طالب المكي في كتابه قوت القلوب عن أبي يزيد أنه قيل له: "بلغت جبل قاف؟ فقال: جبل قاف أمره قريب، الشأن في جبل كاف، وجبل عين وجبل صاد، قال: وما هذا؟ قال: هذه جبال محيطة بالأرضين السفلى، حول كل أرض جبل بمنزلة جبل قاف محيط بهذه الدنيا، وهو أصغرها، وهذه أصغر الأرضين، وقد كان أبو محمد يخبر أنه صعد جبل قاف، ورأى سفينة نوح

مطروحة فوقه، وكان يصفه ويصفها، وقال لله عبد بالبصرة يرفع رجله وهو قاعد فيضعها على جبل قاف، وقد قيل: الدنيا كلها خطوة للولي، وإن وليًّا لله خطا خطوة واحدة خمسمائة عام، ورفع رجله على جبل قاف والأخرى على جانب الجبل الآخر، فعبر الأرض كلها، وقيل لأبي يزيد: دخلت إرم ذات العماد فقال: قد دخلت ألف مدينة لله في ملكه، أدناها ذات العماد، ثم عددها كلها؛ البيت وتأويل وتاريس وجايلق وجابرس ومسك"[1].

وإضافة للخرافات والأساطير السابقة فإن هناك عددًا غير قليل من العبارات الصادرة عن بعض أئمة الصوفية في حال السكر والاصطلام فيما يعرف بالشطحات[2]، وقد عرف كل من الطوسي والجرجاني الشطح بتعريف لا يخلو من مجال للنظر والتعقيب وإن كان يعطينا فكرة عامة عن الشطح فعرفه الطوسي بأنه "عبارة مستغربة في وصف وجد فاض بقوته وهاج بشدة غليانه وغلبته"[3] وعرفه الجرجاني بأنه "عبارة عن كلمة عليها رائحة رعونة ودعوى تصدر من أهل المعرفة باضطرار واضطراب، وهو من زلات المحققين فإنه دعوى حق يفصح بها العارف لكن من غير إذن إلهي بطريق يشعر بالنباهة"[4]، ومن الباحثين المعاصرين عرفها د. محمد مصطفى حلمي بأنها "ألفاظ وعبارات موهمة الظاهر صدرت عن كثير من أئمة الصوفية، وهي لما يستشكل من ظواهرها قد جعلت الناس فيها بين منكر ومحسن ومتأول"[5].

---

(١) أبو طالب المكي: قوت القلوب ١١٣/٢، ١١٤ .

(٢) ويمكن الرجوع إلى نماذج عديدة من تلك الشطحات في كتاب الدكتور عبد الرحمن بدوي: شطحات الصوفية.

(٣) الطوسي: اللمع ص٤٥٣ .

(٤) الجرجاني: التعريفات ص١٦٧، وانظر المناوي: التوقيف على مهمات التعاريف ص٤٢٩ .

(٥) د. محمد مصطفى حلمي: الحياة الروحية في الإسلام ص١٧١ .

ومكمن الخطورة في تلك الشطحات هو ما تنطوي عليه من خلل عقدي خطير، ورعونة وسوء أدب مع الله، ومجاوزة لكل حد معقول أو منقول، ولذا فإننا لا نجاوز المنهج العلمي إذا أدرجناها ضمن ظاهرة الحشو، لأنها ليست أقل طعنًا في الذات الإلهية من مذاهب المشبهة أو الأحاديث الموضوعة، والقصص الإسرائيلية.

ومن نماذج ذلك قول الحلاج: "لا إله إلا الله كلمة شغل بها العامة لئلا يختلطوا بأهل التوحيد ... ومن زعم أنه يوحد الله فقد أشرك"(١)، وقال: "ظاهر الشريعة كفر خفي وحقيقة الكفر معرفة جلية"(٢)، وقال أيضًا لرجل "أتتشهد في الأذان، قال: نعم، قال: ألحدت من حيث وحدت في تشهدك"(٣)، وقال: "لولا أن الله تعالى قال لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين لكنت أبصق في النار حتى تصير ريحانًا على أهلها"(٤).

ويعتبر أبو يزيد البسطامي من أكثر من نسب إليه الكثير من الشطحات، ومن نماذج ذلك قوله: "أدخلني في الفلك الأسفل فدورني في الملكوت السفلى، فأراني الأرضين وما تحتها إلى الثرى، ثم أدخلني في الفلك العلوي فطوف بي في السموات وأراني ما فيها من الجنان إلى العرش، ثم أوقفني بين يديه فقال لي: سلني أي شيء رأيت حتى أهبه لك، فقلت: يا سيدي، ما رأيت شيئًا استحسنته فأسألك إياه، فقال: أنت عبدي حقًا، تعبدني لأجلي صدقًا"(٥)، كذلك حكي عنه أنه قال: "تالله إن لوائي من نور تحته الجان والجن والإنس كلهم من النبيين"(٦)، وقال مستخفًا بنار جهنم: "ما النار؟ لأستندن إليها غدًا وأقول اجعلني لأهلها فداء أو لأبلعنها، ما الجنة لعبة صبيان"(٧).

---

(١) الحلاج: الأعمال الكاملة ص٢٢٨، جمع قاسم محمد عباس، الطبعة الأولى ٢٠٠٢ .

(٢) المصدر السابق ص٢٣٣ .

(٣) المصدر السابق ص٢٢٩ .

(٤) المصدر السابق ص٢٣٥ .

(٥) أبو طالب المكي: قوت القلوب ١١٤/٢، ١١٥ .

(٦) عبد الرحمن بدوي: شطحات الصوفية ص٣٠ .

(٧) المصدر السابق ص٣١ .

وممن نسب إليه الشطحات أيضًا الشبلي حيث نقل عنه أنه قال: "لو دبت نملة سوداء على صخرة صماء في ليلة ظلماء و لم أشعر بها أو لم أعلم بها لقلت إنه ممكور بي"(١)، ونسب إليه أيضًا أنه قال: "إن لله عبادًا لو بزقوا على جهنم لأطفأوها"(٢).

ونقل ابن عربي عن أبي السعود أنه قال: "إن الله أعطاني التصرف منذ خمس عشرة سنة، وتركناه تظرفًا"(٣)، وعلق ابن عربي على كلامه هذا بقوله: "هذا لسان إدلال وأما نحن، فما تركناه تظرفًا – وهو تركه إيثارًا وإنما تركناه لكمال المعرفة"(٤)، وقال التلمساني: "القرآن كله شرك وإنما التوحيد في كلامنا"(٥).

ولا أظن أننا بحاجة للإطالة في نقد ما انطوت عليه تلك الشطحات من خلل عقدي ومصادمة لثوابت الدين وإساءة أدب – في بعض الأحيان – مع الله ورسوله، وعجب ظاهر، وتزكية للنفوس، واستهانة بعذاب الله ووعيده وغير ذلك من البلايا.

ومهما حاول البعض تبرئة أصحاب تلك الشطحات والتماس الأعذار لهم، والقول بأن تلك العبارات صدرت منهم في أحوال غير طبيعية أو مألوفة، أقول أنه حتى لو سلمنا بعذر القائلين – مع شيء من التحفظ – فإنه لا يسعنا سوى استنكار ما قالوه، والتأكيد على مصادمته التامة لدين الله تعالى جملة وتفصيلاً.

وفي نهاية حديثنا عن الشطح الصوفي والخرافات، يجدر بنا الإشارة إلى جانب آخر قريب الصلة بما سبق، وليس من العسير أن ندرجه في عداد الخرافات بمعناها العام،

---

(١) عبد الرحمن بدوي: شطحات الصوفية ص٤٣ .

(٢) الطوسي: اللمع ص٤٩١، وعبد الرحمن بدوي: شطحات الصوفية ص٤٣ .

(٣) ابن عربي: الفتوحات المكية ٢/٣٧٠، وفصوص الحكم ص١٢٥، ومحمد داود قيصري: شرح فصوص الحكم ص٨٠٦ .

(٤) ابن عربي: فصوص الحكم ص١٢٥، ومحمد داود قيصري: شرح فصوص الحكم ص٨٠٦، وعبد الرحمن الوكيل: هذه هي الصوفية ص١١٨ .

(٥) انظر ابن تيمية: الصفدية ١/٢٤٤، والفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ص٤٠، وبغية المرتاد ٢/٣٢٩، وبيان تلبيس الجهمية ٢/٥٣٩ .

ونعني بذلك الذكر بألفاظ مجهولة المعنى، وجمل خارجة عن كل التراكيب العربية المألوفة، وأشبه ما تكون بالطلاسم ثم الادعاء بأنها لغة سريانية، أو ألفاظ من عالم الملكوت لا يفهمها إلا الأقطاب والأولياء الواصلون، ويعجز أصحاب العلم الظاهر من حملة الشريعة أن يدركوا معنا أو يتذوقوا أسرارها، قد أشرنا فيما مضى إلى أن كثيرًا من أهل العلم نسبوا إلى الحشوية القول بجواز أن يتضمن كتاب الله ما لا معنى لله، كما أنهم يوردون نصوصًا لا يفهمون معناها وإنما يؤمنون بها كما هي دون أدنى تعقل لها.

وفي اعتقادي أن هذه الأمور كلها لا تختلف بحال عما هو موجود في كتابات كثير من الصوفية المتأخرين – ولاسيما أصحاب الطرق – من أذكار وأوراد يلزمون الأتباع بها، ويزعمون أنها بلغات أخرى غير العربية ومنها السريانية.

وثمة نماذج كثيرة في كتب الأوراد لدى الطرق المختلفة ويضيق المقام عن حصرها، ولذا نكتفي ببعض الأمثلة، ومنها ما جاء في أوراد الجيلانية "وأسألك الوصول بالسر الذي تدهش منه العقول، فهو من قربه ذاهل ايتنوخ ما ملوخ باي وامن آي وامن مهباش الذي له ملك السماوات والأرض طهفلوش انقطع الرجاء إلا منك"[(١)]، ومن أوراد الطريقة الدسوقية "اللهم آمني من كل خوف وهم وغم وكرب كدكد كردد كردد كردد كرده كرده ده ده الله رب العزة" ومن أوراد الطريق البرهانية "احمي حميثا أطمي طميثا ... بها بها بهيا بهيا بهيات بهيات القديم الأزلي يخضع لي كل من يراني لمقفنجل يا أرض خذيهم"[(٢)].

ولا أظن أن مثل هذا الكلام يحتاج لتعليق إذ هو أشبه بتعزيمات السحرة وطلاسم

(١) انظر مجموع الأوراد الكبير المنسوب للجيلاني ص١٠، نقلاً عن محمود المراكبي: ظاهر الدين وباطنه ص٦٩، ١٩٩٦م.

(٢) أحمد بن عياد: المفاخر العلية في المآثر الشاذلية ص٢٢٢، نقلاً عن محمود المراكبي: ظاهر الدين وباطنه ص٦٩.

المشعوذين ولكن الإشكال الحقيقي هو كيف يطمئن إنسان عاقل لأن يذكر ربه بمثل هذه العبارات التي لا يدري هل هي مدح أم قدح، وإيمان أم كفر، لكن هكذا يفعل التقليد بأهله وهذه عاقبة تعطيل العقول التي وهبها الله للإنسان، والسير الأعمى وراء المشايخ والمتبوعين دون إدراك أو تمييز.

ويبدو أن غرام بعض الصوفية بالحروف وأسرارها سواء أكانت عربية أو سريانية أمر قديم في المذهب[1]، وللحلاج ولع ظاهر بهذا الأمر، وقد نص على أن علم القرآن كله "في الأحرف التي في أوائل السور، وعلم الأحرف في لام الألف، وعلم لام الألف في الألف، وعلم الألف في النقطة، وعلم النقطة في المعرفة الأصلية في الأزل، وعلم الأزل في المشيئة وعلم المشيئة في غيب الهو، وغيب الهو ليس كمثله شيء"[2].

رابعًا: حشوية المحدثين المفسرين

والمقصود بهم جماعة من المنتسبين إلى علم الحديث أو التفسير اقتصروا على جانب الرواية ونقل الأسانيد، دون أن يكون لديهم ملكة النقد والتمييز بين صحيح المرويات ومكذوبها، وقد أوقعهم هذا الأمر في ذكر ما لا يصح بحال، واعتناق بعض الآراء الشاذة سواء في مجال الصفات، أو أمور الغيبيات، وأخبار السابقين من الأمم المتقدمة.

وكما هي العادة لدى سائر الاتجاهات الحشوية، فقد ظهر حشو هؤلاء النفر في عدد من المجالات، أبرزها ما يلي:

١- القول بالتشبيه والتجسيم

وقد عدت كتب الفرق من بين طوائف المشبهة جماعة من أصحاب الحديث المتأثرين بالتصوف يسمون بالحشوية، ويصرحون بالتشبيه من أمثال مضر، وأحمد

---

(١) وللمستشرقة المعروفة آنا ماري شيمل بحث بعنوان رمزية الحروف في المصادر الصوفية، عرضت فيه لهذا الموضوع، وهو ملحق بكتابها الأبعاد الصوفية وتاريخ الإسلام ص٤٦٩، ترجمة محمد إسماعيل السيد، ورضا حامد قطب، منشورات الجمل، الطبعة الأولى ٢٠٠٦م.

(٢) الحلاج: الأعمال الكاملة ص١١٧ .

الهجيمي، وهم يقولون إن معبودهم على صورة ذات أعضاء وأبعاض، إما روحانية وإما جسمانية، كما أجازوا على ربهم الملامسة والمصافحة، وزعموا أن المسلمين المخلصين يعانقونه في الدنيا والآخرة إذا بلغوا في الرياضة والاجتهاد إلى حد الإخلاص والاتحاد المحض، وحكي الكعبي عن بعضهم أنه كان يجوز الرؤية في دار الدنيا، وأن يزوروا الله سبحانه ويزورهم[١].

ومع شناعة تلك الأقوال وضلالها الواضح فإن من الملاحظ أنه لا يوجد واحد من هؤلاء النفر المذكورين يعد من أئمة أهل الحديث وعلمائهم الكبار، بل سبق أن أشرنا إلى إدراج البعض لهم ضمن مشبهة الصوفية[٢]، مما يشير إلى أن هذه الآراء إنما وجدت لدى أفراد من عوام المحدثين أو بعض المشتغلين بالرواية دون تحقيق أو تدقيق، ولا تمثل ظاهرة عامة لدى المحدثين بحيث يقال إن التجسيم يعتبر اتجاهًا بارزًا عندهم.

ومن إنصاف ابن تيمية رحمه الله أنه أقر بوجود من وصفهم بأنهم "طائفة ممن انتسب إلى السنة، وعظم السنة والشرع، وظنوا أنهم اعتصموا في هذا الباب بالكتاب والسنة، جمعوا أحاديث وردت في الصفات، منها ما هو كذب معلوم أنه كذب، ومنها ما هو إلى الكذب أقرب، ومنها ما هو إلى الصحة أقرب، ومنها متردد، وجعلوا تلك الأحاديث عقائد، وصنفوا مصنفات، ومنهم من يكفر من يخالف ما دلت عليه تلك الأحاديث" وليس ثمة خلاف عنده في أن "تمثيل الله بخلقه والكذب على السلف من الأمور المنكرة، سواء سمي ذلك حشوًا أو لم يسم" وهذا الحكم ينطبق في رأيه على كثير من غالية المثبتة الذين يروون أحاديث موضوعة في الصفات[٣].

وقد وجه الاتهام بالتجسيم إلى بعض علماء الحنابلة، ومن أبرزهم أبو يعلي الحنبلي صاحب كتاب إبطال التأويلات، والذي أورد فيه عددًا غير قليل من الأحاديث الواهية

---

(١) الشهرستاني: الملل والنحل ١/١٠٥ .

(٢) انظر الأشعري: مقالات الإسلاميين ص٢٨٨ .

(٣) ابن تيمية: مجموع الفتاوى ٤/١٤٥ .

والموضوعة والتي تتضمن وصفًا لله بما لا يليق بجلاله وعظمته. وقد فتح هذا الكتاب على أبي يعلي باب الاتهام والتشنيع، حتى إن ابن العربي نسب إليه أنه "كان يقول إذا ذكر الله تعالى وما ورد من هذه الظواهر في صفاته يقول ألزموني ما شئتم فإني ألتزمه إلا اللحية والعورة"[1]، لكن ابن تيمية نفي هذا الاتهام ورأى أن "ما نقله عنه أو بكر بن العربي في العواصم كذب عليه عن مجهول لم يذكره أبو بكر وهو من الكذب عليه"[2]، وإن كان مع هذا النفي لم يعف أبا يعلي وكتابه من النقد رغم أنه من الحنابلة[3].

ومن المرويات المستشنعة التي أوردها أبو يعلي حديث "إن الله لما فرغ من خلقه استوى على عرشه واستقلى، ووضع إحدى رجليه على الأخرى، وقال إنها لا تصلح لبشر"[4] وحديث إن الله يتجلى لعباده في الآخرة "يضحك حتى تبدو لهواته"[5].

ولعل من المستغرب أنه رغم إيراد أبي يعلى لتلك المرويات الباطلة سندًا ومتنًا، فإن له كتبًا في الرد على الكرامية، والرد على السالمية والمجسمة[6]، كما أن له نصوصًا يصرح فيها بأن "صفات الله تعالى لا تشبه سائر الموصوفين بها من الخلق ولا نعتقد التشبيه فيها"[7]، وينكر على "المجسمة الذين وصفوه بالجسم، والمشبهة الذين شبهوا صفاته بصفات خلقه"[8] بل إن ابنه ينقل عنه حكمًا في غاية الصرامة تجاه القائلين بالتجسيم حيث يرى أن من "اعتقد أن الله سبحانه جسم من الأجسام، وأعطاه حقيقة

(١) ابن العربي: العواصم من القواصم ص٢٠٩، ٢١٠، تحقيق د. عمار طالبي.

(٢) ابن تيمية: درء التعارض ٢٣٨/٥ .

(٣) المصدر السابق ٢٣٧/٥، ٢٣٨، كذلك انتقد الذهبي أبا يعلي في هذا الجانب فقال: "ولم تكن له يد طولى في معرفة الحديث، فربما احتج بالواهي" انظر سير أعلام النبلاء ٩١/١٨ .

(٤) أبو يعلي: إبطال التأويلات ١٩٠/١، ولا يخفي نكارة هذا الحديث وبطلان متنه فضلاً عما في سنده من وهاء.

(٥) المصدر السابق ٢١٣/١ .

(٦) انظر ابن أبي يعلي: طبقات الحنابلة ٢١٠/٢، والذهبي: سير أعلام النبلاء ٩١/١٨ .

(٧) أبو يعلي: إبطال التأويلات ٤٣/١ .

(٨) المصدر السابق ٤٣/١ .

الجسم من التأليف والانتقال فهو كافر لأنه غير عارف بـالله ﷻ، لأن الله سـبحانه يستحيل وصفه بهذه الصفات، وإذا لم يعرف الله سبحانه وجب أن يكون كافرًا"[١].

ولعل في هذه النصوص دليلاً واضحًا على أن الرجل لم يكن مـشبهًا أو مجـسمًا صرفًا، قائلاً بالمماثلة بين صفات الخالق والمخلوق، وإنما دخل عليه الخلل من قلة العلم بفن الحديث والتمييز بين صحيح المرويات من ضعيفها، فأورد مثل تلك الأحاديـث الباطلة التي ما أظن أن أحدًا يتردد في رفضها والإنكار على من رواهـا دون تمييـز أو تحذير.

ومن الشخصيات الأخرى المنتسبة للحديث، والتي أكثرت من رواية الموضـوعات وربما تضمن بعض ما رووه تشبيهًا فجًا أو حشوًا أبو علي الأهـوازي المتـوفى عـام (٤٤٦هـ) والذي ألف كتابًا في ذم الأشعري ورد عليه ابن عساكر بكتابـه تبـيين كذب المفتري، وللأهوازي مصنف في الصفات اسمه كتاب البيان في شرح عقود أهل الإيمان أودعه أحاديث منكرة[٢]، وجمع فيه الغث والسمين[٣]، ولم لو لم يجمعه – كما يقول الذهبي[٤] – لكان خيرًا له فإنه أتى فيه بموضوعات وفضائح.

ومن أشنع ما أورده الأهوازي في كتابه هذا من الأحاديث الباطلة نقـلاً وعقـلاً، حديث "إن الله تعالى لما أراد أن يخلق نفسه خلق الخيل فأجراها حتى عرقت، ثم خلـق نفسه من ذلك العرق"[٥]، وحديث "إذا كان يوم الجمعـة ينـزل الله بـين الأذان والإقامة، عليه رداء مكتوب عليه: إنني أنا الله لا إله إلا أنا، يقف في قبلة كل مـؤمن مقبلاً عليه، فإذا سلم الإمام صعد إلى السماء"، وحديث "رأيت ربي بعرفات على جمل

---

(١) ابن أبي يعلى: طبقات الحنابلة ٢/٢١٠ .

(٢) انظر ابن عساكر: تاريخ دمشق ١٣/١٤٥ .

(٣) انظر ابن تيمية: مجموع الفتاوى ١٦/٤٣٤ .

(٤) انظر الذهبي: ميزان الاعتدال ١/٥١٢، ود. مصعب الخير: الآراء الحشوية في الفكر الإسلامي ص١٠ .

(٥) ابن عساكر: تاريخ دمشق ١٣/١٤٥ .

أحمر، عليه إزار"[1].

ومن تلك الشخصيات أيضًا عبد الرحمن بن مَنْدَه[2]، والذي كان من أكثر الناس حديثًا، لكنه روى شيئًا كثيرًا من الأحاديث الضعيفة، وكان لا يميز بين الصحيح والضعيف، وهو في تواليفه حاطب ليل، يروي الغث والسمين، وينظم رديء الخرز مع الدر الثمين، وربما جمع بابًا وكل أحاديثه ضعيفة، وقد وقع ما رواه من الغرائب الموضوعة إلى حسن بن عدي فبني على ذلك عقائد باطلة، وادعى أن الله يرى في الدنيا عيانًا[3].

وإذا انتقلنا من مجال الحديث إلى مجال التفسير، فسوف نجد من أشهر المفسرين المنسوبين إلى التشبيه والتجسيم مقاتل بن سليمان، والذي حكي عنه الأشعري القول بأن الله تعالى "جسم، وأن له جمة، وأنه على صورة الإنسان لحم ودم وشعر وعظم، له جوارح وأعضاء من يد ورجل ورأس وعينين، مصمت وهو مع هذا لا يشبه غيره ولا يشبهه"[4].

وثمة اختلاف بين أهل العلم – يحتاج إلى دراسة مستقلة – في صحة نسبة القول بالتشبيه إلى مقاتل[5]، فهناك من نفى عنه ذلك مثل الملطي[6]، وهناك من أثبت صحة الاتهام كأبي حنيفة[7]، والأشعري[8]"

(١) انظر الذهبي: ميزان الاعتدال ٥١٢/١، وابن حجر: لسان الميزان ٢٣٨/٢ .

(٢) وليس المراد بكلامنا هذا ابن منده الحافظ والمحدث المشهور، صاحب كتاب التوحيد وكتاب الإيمان وإنما الذي معنا هنا ولده عبد الرحمن المتوفى ٤٧٠هـ.

(٣) انظر ابن تيمية: مجموع الفتاوى ٤٣٤/١٦، والذهبي: سير أعلام النبلاء ٣٥٤/١٨ .

(٤) الأشعري: مقالات الإسلاميين ص١٥٣ .

(٥) انظر د. جابر إدريس: مقالة التشبيه ٣٢٣/١، ود. مصعب الخير إدريس: الآراء الحشوية ص٢ .

(٦) انظر الملطي: التنبيه والرد ص٥٥ .

(٧) انظر ابن عساكر: تاريخ دمشق ١٢٢/٦٠، والذهبي: تاريخ الإسلام ٦٤١/٩، وابن حجر: تهذيب التهذيب ٢٥١/١٠ .

(٨) انظر الأشعري: مقالات الإسلاميين ص١٥٣ .

والجـــويني[١]، والآمـــدي[٢]، وغيرهم، وهناك من توقـــف في المـــسألة مثـــل ابـــن تيمية"[٣]، وفي ظني أن كثرة ما نسب للرجل من آراء منكرة وشاذة، وتصريح أئمـــة كبار في عصور مختلفة بذلك، يدل على وجود قدر كبير من الخلل والغلو في معتقداته وآرائه، لاسيما في باب الصفات.

٢- رواية الأحاديث الموضوعة

ومن المعروف أن الأحاديث الموضوعة لم تقتصر على جانب دون آخر من جوانب الدين بل امتدت إلى كافة المجالات، وإذا كان خطرها وضررها في فـــضائل الأعمـــال ومناقب الأشخاص محتملاً بعض الشيء، فلا شك أن ضررها في مجال الاعتقاد وأصول الدين يترتب عليه الكثير من الآفات والعواقب الوخيمة.

وثمة نماذج كثيرة من الأحاديث الموضوعة في مجال العقيدة، ويهمنا منها ما كـــان متعلقًا بصفات الله تعالى، ولعل من أشنع تلك النماذج حديث عـــرق الخيـــل الـــذي تقدمت الإشارة إليه ونصه أن الرسول ﷺ سئل – فيما نسبوه إليه كذبًا – "مم ربنا؟ فقال: من ماء مرور لا من الأرض ولا من سماء، خلق خيلاً فأجراها فعرقـــت فخلـــق نفسه من ذلك العرق"[٤].

وهذا الحديث المكذوب لا يضعه مسلم، بل لا يضعه عاقل، وإنما يفتريـــه زنـــديق أفاك، ولسنا بحاجة لبيان كذبه، إذ مجرد حكايته تغني عن إفساده وإبطاله، وكما يقول الذهبي: "وهذا خبر مقطوع بوضعه، لعن الله واضعه ومعتقده، مع أنه شيء مـــستحيل في العقول بالبديهة"[٥].

---

(١) انظر الجويني: الشامل ص٢٨٨ .

(٢) انظر د. حسن الشافعي: الآمدي وآراؤه الكلامية ص٣٢٧ .

(٣) ابن تيمية: منهاج السنة ٦١٨/٢ .

(٤) انظر ابن الجوزي: الموضوعات ٦٤/١، وابن تيمية: درء التعارض ١٤٨/١، والسيوطي: اللآلئ المصنوعة ١١/١، وابن عراق: تنـــزيه الشريعة ١٣٤/١ .

(٥) الذهبي: تاريخ الإسلام ١٢٨/٣٠ .

ومما يقارب الحديث السابق في الوضع والشناعة حديث "رأيت ربي بمنى يوم النفر على جمل أورق عليه جبة صوف أمام الناس"[1]، وحديث "لما أسري بي إلى السماء رأيت ربي ﷻ بيني وبينه حجاب بارز، فرأيت كل شيء منه حتى رأيت تاجًا مخوصًا من لؤلؤ"[2]، وحديث "خلقت الملائكة من نور الذراعين والصدر"[3]، وحديث "رأيت ربي ﷻ على جمل أحمر عليه إزار، وهو يقول: قد سمحت، قد غفرت إلا المظالم، فإذا كانت ليلة المزدلفة يصعد إلى السماء الدنيا وتنصرف الناس إلى منى"[4].

وفي ظني أنه لا يوجد أحد يطالع تلك الأكاذيب ثم يشك في أن واضعها زنديق أثيم كان يقصد إفساد عقائد المسلمين، وجعلهم هزئًا وأضحوكة بين الأمم من جهة، وصد عقلاء البشر عن الدخول في هذا الدين من جهة أخرى، إذ كيف لمن لديه مسكة من تمييز أو إدراك أن يقبل اعتقادات قبيحة تسيء للرب الخالق مثل هذه الإساءة الشنيعة.

وقد نبه كل من ابن قتيبة، وابن الجوزي، والزركشي، والشعراني إلى أن غرض الزنادقة من وضع تلك الأحاديث إفساد الشريعة وإيقاع الشك فيها في قلوب العلوم، والتلاعب بالدين وتهجينه وتنفير العقلاء منه بدس مثل هذه الأحاديث المستشنعة والمستحيلة[5]، ومن أغراضهم أيضًا كما أشار لذلك ابن عساكر التشنيع على أصحاب

(١) الذهبي: ميزان الاعتدال ٢٦٤/٢، وابن عراق: تنزيه الشريعة ١٤٦/١، وملا على القاري: الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة ٢٠٤/١، وانظر أيضًا ابن تيمية: درء التعارض ٩٣/٧، ومنهاج السنة النبوية ٥٢٩/٢ .

(٢) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ١٣٤/١٠، وابن الجوزي: الموضوعات ٧٢/١، والسيوطي: اللآلئ المصنوعة ٢٠/١ .

(٣) انظر عبد الله بن الإمام أحمد: السنة ٤٧٥/٢، والبيهقي: الأسماء والصفات ٢٨٥/٢ .

(٤) انظر ابن عساكر: تاريخ دمشق ١٤٥/١٣، وابن الجوزي: الموضوعات ١٨٠/١ .

(٥) انظر ابن قتيبة: تأويل مختلف الحديث ص٢٧٩، وابن الجوزي: الموضوعات ١٥/١، والزركشي: البحر المحيط ٣١٨/٣، والشعراني: اليواقيت والجواهر ٥١/٢، وانظر أيضًا د. مصطفى السباعي: السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي ص١٠١

الحديث، وإفقاد الثقة فيهم وفي كتبهم وما تضمنته من مرويات[١].

ولكن للأسف الشديد فإن رواية الموضوعات وإشاعتها لم تقتصر على الزنادقة وأعداء الإسلام المجاهرين بالعداوة، بل امتدت لنفر من المنتسبين لعلم الحديث ذكروها في كتبهم وساقوها بأسانيدهم مما أحدث إشكالاً وبلبلة، وفتح الباب أمام خصومهم لوسمهم باتهامات خطيرة من قبيل التجسيم والتشبيه والحشو ومشابهة اليهود والنصارى.

ومن إنصاف ابن تيمية رحمه الله نقده الواضح لهؤلاء النفر وإقراره بوجود نفر "من المنتسبين إلى السنة المصنفين فيها لا يعرفون الحديث ولا يفقهون معناه، بل تجد الرجل الكبير منهم يصنف كتابًا في أخبار الصفات أو في إبطال تأويل أخبار الصفات ويذكر فيه الأحاديث الموضوعة مقرونة بالأحاديث الصحيحة المتلقاه بالقبول، ويجعل القول في الجميع واحدًا، وقد رأيت غير واحد من المصنفين في السنة على مذهب أهل الحديث من أصحاب مالك وأحمد والشافعي وغيرهم من الصوفية وأهل الحديث وأهل الكلام منهم يحتجون في أصول الدين بأحاديث لا يجوز أن يعتمد عليها في فضائل الأعمال، فضلاً عن مسألة فقه فضلاً عن أصول الدين"[٢].

وقد أشرنا من قبل إلى كتاب أبي يعلي الحنبلي إبطال التأويلات وما تضمنه من أحاديث موضوعة، وثمة كتب أخرى لعلماء مشاهير لم تخل من إيراد بعض الأحاديث الضعيفة أو الموضوعة[٣]، ولعل عذرهم أنهم ساقوها بالأسانيد، والقاعدة المقررة عندهم أن من أسند لك فقد أحالك.

لكن يبقى من الإنصاف أن نقول إن ذلك وحده لا يكفي ولا يشفي، ولا يعتبر

---

(١) انظر ابن عساكر: تاريخ دمشق ١٣/١٤٥ .

(٢) ابن تيمية: الصفدية ١/٢٨٦، ٢٨٧ .

(٣) مثل كتاب السنة لعبد الله بن الإمام أحمد، والرد على الجهمية، والرد على المريسي لعثمان بن سعيد الدارمي وغيرها.

عذرًا يرفع التبعة كلها، ومجال العقيدة مجال حساس وخطير لا يصلح فيه إيراد ما تهافت سنده ومتنه وإذا كان في زمانهم من يحسن النظر في الأسانيد والتفرقة بين ما صح وما لا يصح، فقد خلف من بعدهم خلوف يصدقون بكل ما يروي، ويعتقدون بكل ما وجدوه مزبورًا في الكتب لاسيما أن كان مؤلفها ممن يشار إليه بالبنان.

وفي ظني أن جانب رد الفعل الذي أشرنا إليه من قبل كان له أثر كبير في صنيع هؤلاء النفر من المحدثين، حيث هالهم ما قام به المتكلمون من الجهمية والمعتزلة وغيرهم من التجرؤ على نصوص السنة، وعدم التهيب من ردها، والطعن فيما صح من أحاديثها، فقاموا بالرد على هذا المسلك المعيب، غير أنهم لم يقفوا عند حد التوسط وجانب الاعتدال، ولم يقتصروا على إيراد الصحيح والثابت، وإنما جمعوا كل ما وقفوا عليه دون تمييز كاف بين ما ثبت وما لم يثبت، ثم غلا بعضهم فأوجب اعتقاد كل ما ورد في المرويات حتى لو لم تصح، وأنكر أشد الإنكار على من لم يوافقه في الرأي راميًا إياه بالتجهم والتعطيل، ولا شك أن هذا المسلك غير سديد، وهو منهج مباين لسبيل الأئمة المحققين من علماء الحديث الأثبات الذين اقتصروا على ما صح وحده ووقفوا عنده، كما اشتد نكيرهم على رواة المناكير والموضوعات.

وقد أحسن ابن قدامة حينما أصل لقاعدة منهجية مهمة في هذا الباب فقال: "وأما الأحاديث الموضوعة التي وضعتها الزنادقة ليلبسوا بها على أهل الإسلام، أو الأحاديث الضعيفة، إما لضعف رواتها أو جهالتهم أو لعلة فيها، فلا يجوز أن يقال بها ولا اعتقاد ما فيها، بل وجودها كعدمها"(١)، ولم يقتصر ابن قدامة على ما سبق، بل جعل من "أثبت لله تعالى صفة بشيء من هذه الأحاديث الموضوعة هو أشد حالاً ممن تأول الأخبار الصحيحة، ودين الله تعالى هو بين الغالي فيه والمقصر عنه"(٢).

(١) ابن قدمة: ذم التأويل ص٤٥، تحقيق بدر الدين.

(٢) المصدر السابق ص٤٦.

٣- رواية الإسرائيليات

وليس بوسعنا هنا أن نسترسل في الكلام عن الإسرائيليات، وكيف نشأت، ومتى نشأت، وما أبرز الكتب التي اكتظت بها، حيث تكفلت بذلك دراسات عديدة، ونكتفي هنا بالإشارة إلى أن الإسرائيليات يراد بها كل ما تطرق إلى التفسير والحديث من أساطير قديمة منسوبة في أصل روايتها إلى مصدر يهودي أو نصراني أو غيرهما[١].

وقد عانى تراث المسلمين وفكرهم وعلومهم المختلفة من الآثار السيئة الكثيرة التي ترتبت رواية الإسرائيليات وانتشارها في عدد غير قليل من كتب التفسير والتاريخ وقصص الأنبياء ومن تلك الآثار أنها شوهت صفاء العقيدة بما انطوت عليه من تشبيه وتجسيم لله، ووصفه بما لا يليق بجلاله، وبما فيها من نفي العصمة عن الأنبياء والمرسلين، وتصويرهم بحال مزرية لا تليق بمكانتهم العظيمة.

ومن مفاسدها أيضًا أنها تصور الإسلام في صورة دين خرافي يخالف العقل ويعارضه ويسوق ترهات وأباطيل لا أساس لها، مما يفتح بابًا للطعن فيه من أعداء الإسلام، كما أنها تكاد تذهب الثقة لدى بعض الناس في جماعة من علماء السلف الذين نسبت إليهم تلك الإسرائيليات عنهم، ثم إنها صرفت الناس عن المقصد الأساسي الذي أنزل القرآن من أجلهم وشغلتهم بأمور لا طائل من ورائها، وتفاصيل لا يعدو أن يكون الاشتغال بها عبثًا محضًا وتضييعًا للوقت فيما لا فائدة فيه[٢].

والذي يعنينا من الكلام عن الإسرائيليات هنا أنها تعد مظهرًا بارزًا من مظاهر الحشو ولاسيما أنها في غالب الأحوال لا تخلو من تضمنها لخرافات وأساطير، أو تشبيهًا وتجسيمًا ووصفًا لله تعالى بالنقائص أو مشابهة المخلوقين، أو رواية ما يطعن في عصمة الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، وكل ذلك مما يخدش في صحة العقيدة وسلامتها.

---

(١) انظر د. الذهبي: الإسرائيليات في التفسير والحديث ص١٣ .

(٢) انظر د. الذهبي: الإسرائيليات في التفسير والحديث ص٢٩- ٣٤، ورمزي نعناعة: الإسرائيليات وأثرها في كتب التفسير ص٤٢٨ .

وثمة أمثلة كثيرة في هذا الصدد، ومنها خرافة جبل قاف وهو جبل تزعم الروايات الإسرائيلية أن الله خلق من وراءه هذه الأرض بحرًا محيطًا بها، ثم خلق من وراء ذلك البحر جبلاً يقال له: "قاف"، سماء الدنيا مرفوعة عليه، ثم خلق الله تعالى من وراء ذلك الجبل أيضًا مثل تلك الأرض سبع مرات، واستمر على هذا حتى عد سبع أرضين، وسبعة أبحر وسبعة أجبل، وسبع سماوات، كما تزعم أن جبل قاف هذا، محيط بالعالم، وعروقه إلى الصخرة التي عليها الأرض، فإذا أراد الله تعالى أن يزلزل قرية أمر ذلك الجبل فيحرك العرق الذي يلي تلك القرية، فيزلزلها، ويحركها، ثم تحرك القرية دون القرية[1].

ولا يخفى بطلان هذه الأساطير كلها، وتناقضها مع النقل والعقل والحس، وما انتهت إليه حقائق العلم القطعية، وقد أجاد ابن كثير رحمه الله حينما حكم على هل ما روي في هذا الصدد بأنه من خرافات بني إسرائيل، ومن اختلاق بعض زنادقتهم، يلبسون به على الناس أمر دينهم[2].

ومن الإسرائيليات التي تتعارض مع عصمة الأنبياء ما حكاه بعض المفسرين في قصة افتتان داود عليه السلام بزوجة قائد جيشه، ورؤيتها وهي تستحم وإعجابه بها، ثم أمره بأن يجعل زوجها في مقدمة الجيش حتى يقتل ويخلو لداود كي يتزوج المرأة[3]، وكل ذلك من أباطيل الروايات وكذبها، وهو اقتباس فج مما تضمنته التوراة[4] من طعن في الأنبياء وإظهارهم بصورة لا تليق بعوام المؤمنين، فضلاً عن الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم.

---

(١) انظر تفسير الثعالبي ٩٣/٩، والدر المنثور للسيوطي ٤٤٧/٥، ٤٤٨، ود. أبو شهبة الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير ص٣٠٢ .

(٢) تفسير ابن كثير ٣٢/١ .

(٣) انظر تفسير الطبري ١٨١/٢١، وتفسير البغوي ٨٢/٧، والدر المنثور للسيوطي ١٥٨/٧، ود. أبو شهبة الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير ص٢٦٤ .

(٤) انظر سفر صموئيل الثاني (١١: ٢- ٢٧).

وتبقى أمثلة عديدة للإسرائيليات لا يتسع المجال لذكرها[١]، لكن من المهم أن ننبه إلى مآخذ منهجي وقع فيه بعض المعاصرين، وهو توسعهم في الحكم بالوضع على عدد من الأحاديث الصحيحة والثابتة، والقول بأنها من الإسرائيليات إذا رأوا في متنها إشكالاً ما كان تتضمن أمرًا غيبيًا يصعب على بعض العقول استيعابه، أو تتضمن وصفًا لله يوهم ظاهرة مشابهة المخلوقين.

وقد تكرر هذا المسلك لدى د. علي سامي النشار في كتابه "نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام" حيث حكم على حديث خلق آدم على صورة الرحمن[٢]، وحديث قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن[٣]، وحديث نزول الله في ثلث الليل الآخر[٤]، بأنها من الإسرائيليات، مع أن هذه الأحاديث الثلاثة وردت في الصحيحين أو أحدهما، ومذهب السلف معروف في إمرار تلك الأحاديث والإيمان بها دون تشبيه أو تمثيل لصفات الخالق بصفات المخلوقين، وحتى من أولها من الأشاعرة أو غيرهم لم يحكم عليها بأنها من الإسرائيليات.

وفي ختام حديثنا عن حشوية المحدثين والمفسرين نخلص إلى أن الحشو لم يكن سمة عامة لدى سائر المحدثين أو المفسرين من الحنابلة أو غيرهم، وإنما ظهر لدى بعض المنتسبين إليهم، كما ظهر لدى غيرهم من الطوائف، مما يؤكد على خطأ من قصر الحشو على المحدثين وحدهم، متناسيًا أن المحدثين أنفسهم نقدوا هؤلاء النفر نقدًا شديدًا، وأخرجوهم من عداد أهل الفن الثقات الإثبات، مما يجعل من تعميم الاتهام للمحدثين جميعًا بالحشو نوعًا من التعسف وعدم الإنصاف، والبعد عن الموضوعية المطلوبة في كل بحث علمي.

* * *

(١) وانظر الكثير منها في كتاب د. الذهبي: الإسرائيليات في التفسير والحديث، ود. أبو شهبة الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير.

(٢) انظر د. النشار: نشأة الفكر ٢٨٨/١ .

(٣) المصدر السابق ٢٨٨/١ .

(٤) المصدر السابق ٢٩٣/٣، وانظر د. محمد سعيد القحطاني: الإعلام بنقد كتاب نشأة الفكر الفلسفي ص٢١-٢٣ .

الخاتمة

وفي نهاية بحثنا هذا يحسن بنا أن نشير إلى أهم النتائج التي خلصنا إليها، ومنها ما يلي:

١- على الرغم من كثرة استعمال مصطلح الحشوية في المصنفات الكلامية المختلفة إلا أننا نجد حالة واضحة من الاضطراب والاختلاف الشديد في بيان المراد منه، وسبب إطلاقه، وأصل تسميته، وثمة تعريفات عامة جدًا لا تقدم شيئًا محددًا عن تلك الفرقة أو آرائها ومنهجها، أما التعريفات الأخرى التي تنحو منحى أكثر تفصيلاً، فهناك اختلاف واضح بينها وتعدد في الأقوال بين من يقول إن المقصود بالحشوية هم رواة الأحاديث من غير تمييز لصحيحها من سقيمها، أو هم المجسمة والمشبهة، أو هم القائلون بجواز أن يخاطبنا الله بالمهمل أو ما لا معنى له.

٢- أما الرأي الذي رجحناه في تعريف الحشوية فهو أن الحشو عبارة عن اتجاه عام، وتيار فكري موجود داخل الكثير من المذاهب والطوائف المختلفة، ويتسم هذا التيار بعدد من السمات والخصائص، يأتي في مقدمتها قبول كل ما يروى من النصوص والأخبار، وتصديقها دون تمحيص كاف لها، كما يتسم برفض العقل وأدلته، والتعويل على ما يظنه أدلة نقلية مع سوء فهم لها، وحملها على ما لا يتوافق مع دلالتها الصحيحة، أو ما يفهم من ألفاظها وفق قواعد تفسير النصوص المعتبرة.

٣- الحشو بالمفهوم السابق لم يكن حكرًا على فرقة بعينها، حيث وجدنا حشوية داخل الشيعة وحشوية لدى الحنابلة، وحشوية لدى المفسرين والمحدثين، كما أن الفرق القائلة بالتجسيم والتشبيه مثل الكرامية لها نصيب غير منقوص من الوصف بالحشو، لكن ظهور مثل هذا الأمر عند فرقة ما لا يعني أن هذه الطائفة بأسرها حشوية، أو أن كل من انتمى إليها لابد أن يكون بالضرورة حشويًا.

٤- اختلفت آراء أهل العلم في تحديد الوقت الذي ظهر فيه مصطلح الحشوية، وأول من استخدمه، فهناك من يرى أن أول ظهور لهذا المصطلح إنما ورد على لسان

الحسن البصري حينما قال لجماعة من الناس كانوا يجلسون في حلقته، وتفوهوا بكلام منكر: ردوا هؤلاء إلى حشا الحلقة – أي جانبها – فسموا بالحشوية، وهناك من يرى أن أول ظهور لهذا المصطلح إنما ورد على لسان المعتزلة وتحديدًا على لسان زعيمهم عمرو بن عبيد، ولعل من الصعب الترجيح بين أن يكون عمرو سمع من الحسن تلك اللفظة، ثم أطلقها هو بمفهومه الخاص؟ أو أنه أنشأها إنشاء جديدًا؟

٥- ثمة مصنفات عديدة ألفت للرد على الحشوية، وبيان فساد أقوالهم، ويرجع بعض هذه الكتب إلى فترة متقدمة بعض الشيء، كما أن أصحابها من مدارس كلامية مختلفة فمنهم الكلابي، ومنهم الشيعي، ومنهم الأشعري.

٦- تضافرت مجموعة من العوامل التي أسهمت في ظهور الاتجاهات الحشوية، ولعل في مقدمتها العامل النفسي، ورد الفعل على التيارات المبالغة في النفي والتعطيل، إضافة للعامل الخارجي، والذي يتجلى فيه التأثر بالآراء اليهودية والنصرانية والرواقية.

٧- ظهر الحشو بمختلف صوره وأشكاله لدى الشيعة، بل ربما كانوا من أسبق الطوائف والفرق في بروز بعض أنواع الحشو لديهم، وفي ظني أن طبيعة المذهب الشيعي نفسها كان لها أثر كبير في هذا الأمر، حيث اتسم بعدد من السمات والخصائص التي تؤدي بصورة أو بأخرى إلى ظهور الحشو، والمطالع للمذهب الشيعي يمكنه أن يقف على مظاهر عديدة للحشو منها القول بالتجسيم والتشبيه، ورواية الأحاديث الضعيفة والموضوعة، وتبني بعض المعتقدات الخرافية والأساطير.

٨- يعتبر الكرامية أشهر من أدرجوا في عداد الحشوية، وذلك لما عرف عنهم من القول بالتجسيم والتشبيه، والغلو في إثبات صفات الله تعالى، ومن أبرز جوانب الحشو لدى الكرامية آراؤهم في باب الصفات، حيث أسرفوا في الإثبات، وتبنوا مجموعة من الأقوال الصريحة أو شبه الصريحة في دلالتها على التشبيه والتجسيم، كما أسرفوا في رواية الأحاديث الضعيفة والموضوعة.

٩- مثلت البيئة الصوفية بطبيعتها وخصائصها وسمات المنتمين إليها تربة خصبة لنشوء الحشو والحشوية، وإن كان هذا لا يعني التعميم التام، أو وسم كل صوفي بأنه لابد أن يكون حشويًا بالضرورة، وإنما نعني بذلك أن البيئة الصوفية بها عدد من الخصائص البارزة والشائعة لدى كثير من الصوفية، والتي تسهم بصورة أو بأخرى في ظهور الحشو مع ملاحظة أن اتجاه الحشو لديهم لم يأخذ صورة واحدة كما هو الحال عند بعض الفرق الأخرى، وإنما يمكننا أن نرصد أربعة أمور ظهرت لدى الصوفية، وهي تندرج كلها في مفهوم الحشو الذي قررناه في صدر هذا البحث، وهي القول بالحلول والاتحاد، أو بوحدة الوجود، والقول بالتشبيه والتجسيم، ورواية الأحاديث الموضوعة، وظهور الخرافات والشطحات.

١٠- ظهر الحشو لدى جماعة من المنتسبين إلى علم الحديث أو التفسير ممن اقتصروا على جانب الرواية، دون أن يكون لديهم ملكة النقد والتمييز، وقد أوقعهم هذا الأمر في ذكر ما لا يصح بحال، واعتناق بعض الآراء الشاذة سواء في مجال الصفات، أو أمور الغيبيات وأخبار السابقين من الأمم المتقدمة، وكما هي العادة لدى سائر الاتجاهات الحشوية، فقد ظهر حشو هؤلاء النفر في عدد من المجالات، أبرزها القول بالتشبيه والتجسيم، ورواية الأحاديث الموضوعة، رواية الإسرائيليات.

١١- من الخطأ الواضح قصر الحشو على المحدثين أو الحنابلة وحدهم، لأنه لم يكن سمة عامة لديهم جميعًا، وإنما ظهر لدى بعض المنتسبين إليهم، مثلما ظهر لدى غيرهم من الطوائف، كما أن المحدثين وعلماء الحنابلة الثقات أنفسهم نقدوا هؤلاء النفر نقدًا شديدًا وأخرجوهم من عداد أهل الفن الثقات الإثبات.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، والحمد لله أولاً وأخرًا.

* * *

قائمة المصادر والمراجع

الآمدي

- غاية المرام في علم الكلام، تحقيق: د. حسن الشافعي، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ١٣٩١هـ - ١٩٧١م.

د. أبو الوفا التفتازاني

- علم الكلام وبعض مشكلاته، دار الثقافة للطباعة والنشر، ١٩٧٩م.

أحمد بن إبراهيم بن عيسى

- توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٦هـ.

أحمد أمين

- ضحى الإسلام، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة العاشرة، بدون تاريخ.

د. أحمد بن عبد العزيز القصير

- عقيدة الصوفية وحدة الوجود الخفية، مكتبة الرشد، الأولى، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.

د. أحمد قوشتي

- خصائص الشخصية المصرية وأثرها في ظهور الاتجاهات الكلامية وانتشارها، دار الهاني، ٢٠٠٥م.

أحمد بن المبارك السلجماسي

- الإبريز من كلام سيدي عبد العزيز الدباغ، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م.

الأحمد نكري

- دستور العلماء، دار الكتب العلمية، لبنان، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

إدريس محمود

- مظاهر الانحرافات العقدية عند الصوفية، مكتبة الرشد، الطبعة الثانية، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.

الإسفراييني

- التبصير في الدين، وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين، تحقيق: محمد زاهد الكوثري، مطبعة الأنوار ١٣٥٩هـ- ١٩٤٠م.

الأشعري

- مقالات الإسلاميين، واختلاف المصلين، تحقيق: هلموت ريتر، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة.

ابن أمير الحاج

- التقرير والتحبير، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.

آنا ماري شيمل

- رمزية الحروف في المصادر الصوفية ضمن كتاب الأبعاد الصوفية وتاريخ الإسلام، ترجمة: محمد إسماعيل السيد، ورضا حامد قطب، منشورات الجمل، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦م.

الإيجي

- المواقف في علم الكلام، مكتبة المتنبي، القاهرة، بدون تاريخ.

ابن بابويه

- كمال الدين وتمام النعمة، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٤٠٥هـ.

البروجردي

- جامع أحاديث الشيعة، المطبعة العلمية، قم، ١٣٩٩هـ.

البيروني

- تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ٢٠٠٣م.

ابن تيمية

- مجموع الفتاوى، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، وساعده ابنه محمد، مكتبة ابن قتيبة، الكويت، بدون تاريخ.

- درء تعارض العقل والنقل، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ- ١٩٨١م.

- منهاج السنة النبوية، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.

- الصفدية تحقيق: د. محمد رشاد سالم، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ.

- بغية المرتاد، تحقيق: د. موسى سليمان الدويش، مكتبة العلوم والحكم، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.

د. جابر إدريس

- مقالة التشبيه، وموقف أهل السنة منها، أضواء السلف، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠٢م.

جمال الدين القاسمي

- تاريخ الجهمية والمعتزلة، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م.

ابن الجوزي

- المنتظم، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٥٨هـ.

- زاد المسير، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٤هـ.

الجويني

- الشامل في أصول الدين، تحقيق: د. النشار ود. فيصل عون ود. سهير مختار، منشأة المعارف بالإسكندرية ١٩٦٩م.

الجيلاني

- الغنية لطالبي طريق الحق، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م.

ابن حجر

- لسان الميزان، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.

ابن أبي الحديد

- شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة الأولى، ١٣٧٨هـ- ١٩٥٩م.

الحر العاملي

- وسائل الشيعة، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، مهر، قم الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ.

ابن حزم

- الفصل في الملل والأهواء والنحل، تحقيق: د. عبد الرحمن عميرة، ود. محمد إبراهيم نصر، دار الجيل، بيروت، بدون تاريخ.

د. حسن الشافعي

- الآمدي، وآراؤه الكلامية، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م.

- المدخل إلى دراسة علم الكلام، مكتبة وهبة، الطبعة الثانية، ١٤١١هـ- ١٩٩١م.

الحلاج

- الأعمال الكاملة، جمع: قاسم محمد عباس، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م.

د. خالد كبير علال

- مدرسة الكذابين في رواية التاريخ، دار البلاغ الجزائر، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.

الخوئي

- معجم رجال الحديث، الطبعة الخامسة، ١٤١٣هـ- ١٩٩٢م.

الخميني

- كشف الأسرار، ترجمة: عن الفارسية د. محمد البنداري، دار عمار للنشر والتوزيع، الأردن، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٧م.

الذهبي

- سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م.

- تاريخ الإسلام تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، لبنان، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.

الرازي

- اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، ومعه المرشد الأمين إلى اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، تأليف: عبد الرءوف سعد، ومصطفى الهواري، مكتبة الكليات الأزهرية، ١٣٩٨هـ- ١٩٧٨م.

- أساس التقديس، تحقيق: د. أحمد حجازي السقا، مكتبة الكليات الأزهرية، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.

- التفسير الكبير، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م.

ابن رشد

- مناهج الأدلة في عقائد الملة، تقديم وتحقيق: د. محمود قاسم، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٥٥م.

رمزي نعناعة

- الإسرائيليات وأثرها في كتب التفسير، دار القلم بدمشق، الطبعة الأولى، ١٣٩٠هـ- ١٩٧٠م.

الزركشي

- البحر المحيط في أصول الفقه، دار الصفوة، الغردقة، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ- ١٩٩٢م.

الزمخشري

- الكشاف، تحقيق: عبد الرازق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

زهدي جار الله

- المعتزلة، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٧٤م.

سارة بنت عبد المحسن

- نظرية الاتصال عند الصوفية في ضوء الإسلام، دار المنارة جدة، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ- ١٩٩١م.

السبكي

- طبقات الشافعية الكبرى، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ.

- السيف الصقيل في الرد على نونية ابن زفيل، تحقيق: محمد زاهد الكوثري، مطبعة السعادة بمصر ١٣٥٦هـ- ١٩٣٧م.

د. سفر الحوالي

- ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي، مكتبة الطيب، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م.

أبو سعيد النيسابوري

- الغنية في أصول الدين، مؤسسة الخدمات والأبحاث الثقافية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م.

سلامة العزامي

- فرقان القرآن بين صفات الخالق وصفات الإنسان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

د. سليمان الغصن

- موقف المتكلمين من الاستدلال بنصوص الكتاب والسنة، عرضًا ونقدًا، دار العاصمة للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م.

د. سهير مختار

- التجسيم عند المسلمين، مذهب الكرامية، الطبعة الأولى، ١٩٧١م.

السيوطي

- تدريب الراوي، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض.

- اللآلئ المصنوعة، تحقيق: أبو عبد الرحمن صلاح بن محمد بن عويضة، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م.

الشعراني

- الطبقات الكبرى، تحقيق: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

الشهرستاني

- الملل والنحل، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار صعب، بيروت، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.

الشوكاني

- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، تحقيق: خليل المنصور، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م.

الصدوق

- الاعتقادات في دين الإمامية، تحقيق: عصام عبد السيد، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ- ١٩٩٣م.

- من لا يحضره الفقيه، تحقيق وتصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.

- التوحيد، تحقيق وتصحيح وتعليق: السيد هاشم الحسيني الطهراني، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم المقدسة.

الطبري

- جامع البيان، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.

الطوسي

- الاستبصار، تحقيق وتعليق: السيد حسن الموسوي الخرسان، دار الكتب الإسلامية، طهران، الطبعة الرابعة، ١٣٦٣ ش.

- تهذيب الأحكام، تحقيق وتعليق: السيد حسن الموسوي الخرسان، دار الكتب الإسلامية، طهران، الطبعة الثالثة، ١٣٦٤ ش.

الطوسي

- اللمع، تحقيق: د. عبد الحليم محمود، وطه سرور، دار الكتب الحديثة، ١٣٨٠هـ- ١٩٦٠م.

عاطف شكري أبو عوض

- الزندقة والزنادقة، دار الفكر، الأردن، عمان، بدون تاريخ.

عباس بن منصور السكسكي

- البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان، تحقيق: د. بسام العموش، مكتبة المنار، الأردن، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.

د. عبد الله بن صالح الغصن

- دعاوى المناوئين لشيخ الإسلام ابن تيمية، دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ.

عبد الله نعمة

- هشام بن الحكم رائد الحركة الكلامية في الإسلام وأستاذ القرن الثاني في الكلام والمناظرة، دار الفكر اللبناني، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م.

- قوله "جسم لا كالأجسام" بين موقف هشام بن الحكم ومواقف سائر أهل الكلام لمحمد رضا الحسيني، مجلة تراثنا، العدد الثاني، السنة الخامسة، ربيع الثاني ١٤١٠هـ.

عبد الجبار الهمذاني

- فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة، تحقيق: فؤاد السيد، الدار التونسية للنشر، الطبعة الثانية، ١٩٨٦م.

عبد الرحمن بدوي

- تاريخ التصوف الإسلامي من البداية حتى نهاية القرن الثاني، وكالة المطبوعات، الكويت، الطبعة الأولى، ١٩٧٥م.

- شطحات الصوفية، وكالة المطبوعات، الكويت.

د. عبد الرحمن بن صالح المحمود

- موقف ابن تيمية من الأشاعرة، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤١٦هـ- ١٩٩٥م.

د. عبد الرحمن الفريوائي

- شيخ الإسلام ابن تيمية وجهوده في الحديث وعلومه، دار العاصمة للنشر والتوزيع.

عبد الرحمن اللويحق

- الغلو في الدين في حياة المسلمين المعاصرة، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م.

عبد الرحمن الوكيل

- هذه هي الصوفية، الطبعة الثالثة، ١٣٧٥هـ- ١٩٥٥م.

عبد العزيز سيد الأهل

- التصوف الإسلامي، أصوله ومحاذيره، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ١٩٨٠م.

عبد القادر بن بدران

- منادمة الأطلال، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، ١٩٨٥م.

د. عبد القادر محمود

- الفلسفة الصوفية، دار الفكر العربي، الطبعة الأولى، ١٩٦٦م.

عبد القاهر البغدادي

- أصول الدين، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ- ١٩٨١م.

- الفرق بين الفرق، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مكتبة دار التراث، بدون تاريخ.

د. عبد اللطيف حفظي

- تأثير المعتزلة في الخوارج والشيعة، دار الأندلس الخضراء، جدة، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

العجلوني

- كشف الخفاء، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، ١٩٨٨ن، ١٤٠٨هـ.

ابن عربي

- الفتوحات المكية، دار صادر، بيروت، لبنان.

- فصوص الحكم، تعليق: د. أبو العلا عفيفي، دار الكتاب العربي، لبنان.

- شق الجيب بعلم الغيب ضمن رسائل ابن عربي، تحقيق وتقديم: سعيد عبد الفتاح، مؤسسة الانتشار العربي.

ابن عساكر

- تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري، عني بنشره القدسي، دمشق، ١٣٤٧هـ.

العطار

- حاشية العطار على شرح جمع الجوامع للسبكي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، بدون تاريخ.

د. علي سامي النشار

- نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، دار المعارف، الطبعة الثامنة، ١٩٨١م.

د. علي عبد الفتاح المغربي

- الفرق الكلامية الإسلامية، مدخل ودراسة، مكتبة وهبة، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٦م.

د. عمر فلاتة

- الوضع في الحديث، مكتبة الغزالي، دمشق، ١٤٠١هـ- ١٩٨١م.

عمر كحالة

- معجم المؤلفين، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ- ١٩٩٣م.

الغزالي

- إحياء علوم الدين، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، بدون تاريخ.

د. فيصل عون

- علم الكلام ومدارسه، دار الثقافة للنشر والتوزيع، بدون تاريخ.

- التصوف الإسلامي الطريق والرجال، مكتبة سعيد رأفت، ١٩٨٣م.

القاسمي

- الجرح والتعديل، تحقيق: محمد عبد الحكيم القاضي، دار الحديث، ١٩٨٨م.

ابن قتيبة

- تأويل مختلف الحديث، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م.

- الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة، مكتبة القدسي، القاهرة، ١٣٤٩هـ.

ابن قدامة

- ذم التأويل، تحقيق: بدر البدر، دار الفتح، الشارقة، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م.

ابن القيم

- الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، تحقيق: د. علي بن محمد الدخيل الله، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.

- المنار المنيف، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.

- مدارج السالكين، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٣هـ- ١٩٧٣م.

ابن كثير

- تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

- البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت.

الكلاباذي

- التعرف لمذهب أهل التصوف، تحقيق: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م.

الكليني

- الكافي، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية، طهران، الطبعة الخامسة، ١٣٦٣ش.

المجلسي

- بحار الأنوار، مؤسسة الوفاء، بيروت، لبنان، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.

د. محمد الأنور السنهوتي

- دراسات نقدية في مذاهب الفرق الكلامية، دار الثقافة العربية، ١٩٩١م.

د. محمد البهي

- الجانب الإلهي من التفكير الإسلامي، الطبعة الرابعة، ١٩٦٦م.

د. محمد حسين الذهبي

- الإسرائيليات في التفسير والحديث، مكتبة وهبة، الطبعة الرابعة، ١٤١١هـ، ١٩٩٠م.

محمد زاهد الكوثري

- مقالات الكوثري، بدون بيانات نشر.

د. محمد سعيد القحطاني

- الإعلام بنقد كتاب نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.

محمد صالح الزركان

- فخر الدين الرازي وآراؤه الكلامية والفلسفية، دار الثقافة للطبع والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٩٩٥م.

محمد العبده

- المعتزلة بين القديم والحديث، دار الأرقم، برمنجهام، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ-١٩٨٧م.

د. محمد لوح

- تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي، دار ابن القيم، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.

د. محمد علي البار

- الله والأنبياء في التوراة والعهد القديم، الدار الشامية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م.

د. محمد محمد أبو شهبة

- الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، مكتبة السنة، الطبعة الرابعة، ١٤٠٨هـ.

د. محمد مصطفى حلمي

- الحياة الروحية في الإسلام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٤م.

محمد ناصر الدين الألباني

- نصب المجانيق لنسف قصة الغرانيق، المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة، ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م.

محمود عبد الرؤوف القاسم

- الكشف عن حقيقة الصوفية لأول مرة في التاريخ، دار الصحابة، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٧م.

محمود المراكبي

- ظاهر الدين وباطنه، ١٩٩٦م.

د. مصعب الخير إدريس

- الآراء الحشوية في الفكر الإسلامي دراسة نقدية، بحث منشور على الإنترنت.

المفيد

- أوائل المقالات، تحقيق: الشيخ إبراهيم الأنصاري، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ- ١٩٩٣م.

- تصحيح اعتقادات الإمامية دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ- ١٩٩٣م.

الملطي

- التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، تحقيق: محمد زاهد الكوثري، نشرة السيد عزت العطار الحسيني، ١٣٦٨هـ- ١٩٤٩م.

منصور محمد عويس

- ابن تيمية ليس سلفيًا، دار النهضة العربية، الطبعة الأولى، ١٩٧٠م.

الميرزا النوري

- مستدرك الوسائل، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث.

د. ناصر العقل

- دراسات في الأهواء والفرق والبدع، دار إشبيليا، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م.

د. ناصر القفاري

- أصول مذهب الشيعة الإمامية عرض ونقد، الطبعة الثانية، ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م.

ابن النديم

- الفهرست، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٨هـ- ١٩٧٨م.

نشوان الحميري

- الحور العين، تحقيق: كمال مصطفى، دار آزال للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، الطبعة الثانية، ١٩٨٥م.

النعيمي

- الدارس في تاريخ المدارس، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م.

النوبختي

- فرق الشيعة، تحقيق د. عبد المنعم الحفني، دار الرشاد، الطبعة الأولى، ١٩٩٢م.

نيكلسون

- الصوفية في الإسلام، ترجمة نور الدين شريبة، مكتبة الخانجي، الطبعة الثانية، ٢٠٠٢م.

ابن الوزير اليمني

- الروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم ﷺ اعتنى به علي بن محمد العمران، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع.

الهجويري

- كشف المحجوب، دراسة وترجمة وتعليق: د. إسعاد عبد الهادي، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ١٩٧٤م.

أبو يعلي

- إبطال التأويلات، تحقيق: محمد بن حمد النجدي، دار إيلاف الدولية للنشر والتوزيع.

* * *